کابوس کافا

The nightmare of Kava

د . دینا الدخس

جميع حقوق الطبع و النشر محفوظه

الطبعه الأولي يناير ٢٠١٩

الكتاب : كابوس كافا

الكاتب : د.دينا الدخس

تدقيق لغوي : احمد محمد عبدالستار

تصميم الغلاف : عماد رشدي

رقم ايداع : 21522

ترقيم دولي : 978-977-85439-2-6

دار سنون للنشر والتوزيع

الزقازيق - الشرقية - مصر

٠١٠١١٤٦٤٠٣٧

sonon.pub@gmail,com

كابوس كافا

سنون للنشر و التوزيع

دينا الدخس

إنهم هناك .. احذر .. لقد سمعوا حديثنا .. إنهم قادمون..

انجُ بنفسك ولا تثق بأحد

تنويه

الشخصيات من نسج الخيال وأي تشابه بينها وبين الواقع أمر يسعدني ولا أخشاه . . .

- أستغرب من الناس التي تخاف الأفكار الجديدة،فأنا أخاف الأفكار القديمة -

جون كيج

- بعض الأفكار صلوات ! هناك لحظات تكون فيها النفس جاثية على ركبتيها مهما كان وضع الجسد -

فيكتور هيجو

إهداء

إلى السنوات القليلة الماضية
إلى البوابة التي أغرتني
إلى من آمن بقدرتي
إلى الصوت الذي لا يكف
إلى الخفايا والإرث الثقيل
إلى المخاطرة وروح المغامرة
إلى الفضول
إلى الحلم الذي لا ينطفئ
أهدي تلك القصة

دينا الدخس

مقدمة

عزيزي القارئ،
وأنت تقرأ الصفحات القادمة سيمتزج لديك واقع مع خيال، حقيقة مع حلم. ستتذوق نكهة جديدة وقد تتجلى لك الأشياء في صور مختلفة.
كلنا أصحاب رسالات في هذا الكون الفسيح وخلف كل باب أكثر من نفْس وداخل كل نفس قصة وأحيانًا قصص ولكلٍ منا دور ولكل دور أهمية مهما استصغرتها.
أريدك حين تقرأ أن تفتح قلبك وعقلك، أن تبحث عما خفي عنك صدفة أو عمدًا.
عليك أولًا أن تقرر، هل تريد أن تسلم عقلك لغيرك؟
إجابتي المفضلة: لا.
إذن لا تسر خلفي أو خلف غيري مغمض العينين، مظلم العقل، مكتوم الفؤاد.
فكر، حلل ثم ابحث وانطلق.
تنفس أيها الرفيق وافتح صدرك للهواء وعقلك للنور ولا تنغمس في الماضي ولا تجزع من المستقبل فتفقد حاضرك ويضيع مذاقه وتفقد حياتك رغم أن النفس لا تزال في صدرك.

دينا الدخس

الرسالة

هناك أفراد يحيطون بك، يقتلونك بالحب!! عندما يكون هؤلاء السبب الرئيسي في فقدانك الثقة بنفسك وحين يظهر شخصٌ ما تظن أنه الأخير ولن يأتي بعده أحد لك!! هنا يبدأ عقلك الباطن في التلاعب بك ويسقط خوفك من فقدان وجود شخص ما في حياتك إلى حب مزيف لهذا الفرد وتتعلق به تعلُّق مَرضي حتى وإن كنت لا تحبه، حتى وإن كان السبب في معاناتك، حتى وإن كان السبب في تآكلك. احذر من أفكارك! فهي تستطيع إصابتك بالعمى، بالشلل، بل قد تصل إلى حد قتلك.

هل تظُن حقًا أن هناك فائزين؟؟ حتى وإن نجونا بأعمارنا فسيبقى لدينا العديد من الفجوات في أرواحنا لتذكرنا دائما بخسارتنا الفادحة. من ذهب عمره في تلك المعركة فقد نجا على الأقل من الضراوة التي ستنهش بها الذكرى أرواحنا. كلنا خاسرون يا عزيزي. . .

إنهم يحيطون بنا من كل حدب وصوب، إنهم أمامك وخلفي يقفون بيننا دون أن نراهم. يشاهدون هشاشتنا ويصنعون منها فقرات ترفيهية يروحون بها عن نفوس ذويهم، يقنعوننا بأننا أحرار، وفي الحقيقة نحن لسنا سوى -كرات تنس- يتناوبون عليها. يدخلون في نفوسنا، يتلاعبون بها وينجحون في إيهامنا بأننا من يقفز ليمر فوق تلك الشباك بإرادة حرة ورشاقة بالغة ولكن. . . هناك وجه آخر للمشهد.

ألا تعرفهم؟!! إنهم في الهواء الذي تنتفسه، يمرحون في الماء الذي نشربه، يتراقصون مع حبات الدواء الذي نتناوله كي نشفي من أمراض أرُسلت إلينا

من صناديق بريدهم. إنهم هناك. . احذر. . لقد سمعوا حديثنا! إنهم قادمون. . انجُ بنفسك ولا تثق بأحد. . !

ثق فقط باثنين، أولهما قلبك، فالعين أداة للقلب ترى ما يراه، هي مجرد مرسال فإن غشي القلب عميت العين وإن كانت بصيرة. لا تصدق كل ماتراه عينك تأكد أولًا أن قلبك سليم وأن عقلك لم يتم التلاعب به كي ترى مايريدون لك أن تراه فقط.

ثانيهما أنا يا أخي، فنحن نتشارك الكوابيس ونهاية آبائنا ومن الممكن أن نتشارك النهايات هذا إن لم تنزح أرواحنا سويًا، ما عليك سوى أن تقرر، هل تريد أن تعلم؟ هل تريد أن ترى ما لا يرون؟ هل تستطيع أن تتحمل ما وراء الستار؟ هناك ما سيصدمك وعليك ألا تنهار. هل ستدع محاولات آبائنا تذهب أدراج الرياح؟ أم إنك ستجعل هؤلاء يدفعون أرواحهم ثمنًا للخيوط التي يحركون بها دُماهم كي تتلاعب بنا؟ تلك المرة -أنت- من يقرر وليس -هم-.

الطارق زهير

الفصل الأول

مُلتقى الغُرباء

صابر مندور

-العو في الذاكرة-.

كانت لصابر طفولة رتيبة ليس بها شيء مثير أو مميز إلا كلمة واحدة. -العو-. ولم يفهم أحد ماذا يقصد تحديدًا وتساءل الجميع أين سمع بهذه الكلمة، وهل كان يعي ما يقول؟ أم إنه يرددها دون فهم؟

تساءل الوالدان إن كان مصابًا بخلل ما وكيف ينطق تلك الكلمة قبل -ماما- و-بابا-. ولكن صابر كان سليمًا معافًا وقد تفوق في دراسته وتناسى الجميع تلك الكلمة خاصةً بعد أن صار يعمل في فريق مكوَّن من كبار علماء الفلك، فقد كان بارعًا في عمله ويا ليته امتلك تفس القدر من النجاح في حياته الشخصية. فتكوينه الجسماني يكاد يخلو من أي جاذبية، جسده كان نحيفًا طويلًا، بشرته بيضاء تميل إلى الشحوب، عيناه جاحظتان، يحرك مقلتيه كثيرًا في توتر، شعره خشن يقصره دائما كي لا يتحول إلى قنفذ جائع، لا يحب أن يلمسه أحد أو أن يعلو صوت المذياع قليلًا عما اعتاد عليه، لكنه كان يفرط في اهتمامه بهندامه، فهو الشيء الوحيد الذي يمتلكه بعد عمله وكوابيسه التي هي زائره الوحيد الوفيٌ، لا تتركه ليلة دون أن تمر كي ترسل التحيات، ويستيقظ بعدها دائمًا ولسانه يردد -العو-.

اعتاد في نهاية كل أسبوع أن يكافئ نفسه بالذهاب إلى -مقهى عصري- كما اعتاد أن يطلق عليه، في نهايه الشارع الذي يقطن فيه ليتناول العشاء ويشاهد بعض المخلوقات التي تشبهه وتعيش في جانب غريب عن عالمه.

وفي أحد تلك الأيام، أنهى عمله وذهب إلى مكانه المفضل ولكن منضدته

المفضلة لم تكن شاغرة كعادتها، بل كانت هناك امرأة ترتدي ثيابًا بيضاء حتى حذائها وحِلاها كانت بيضاء، تبدو شاردة وحزينة رغم الأبيض ولولا أنه لاحظ حُزنها لكانت ثورته بلا حدود على احتلالها مكانه المقدس، لا لأنه أشفق عليها ولكنه لا يطيق الاقتراب من كل ما هو حزين فحياته بالغة الكرم معه في هذا الشأن.

وقف يبحث عن منضدة أخرى ولكنه لم يجد ولاحظ أحد النُدُل حيرته فهو كان يعرفه جيدًا ويعلم أنه ليس من السهل أن يغير ما اعتاد عليه، فذهب إلى السيدة يستأذنها أن يتشارك معها المنضدة، فهو زبون مهم، وشرح لها الموقف بأن اليوم عطلة رسمية والمكان مزدحم ولا توجد منضدة شاغرة وهو لن يتكلم فهي لن تشعر بوجوده. أبدت موافقة فاترة بهزة من رأسها دون اكتراث أو إعطاء الأمر أهمية فهي في النهاية لا تشعر بوجود الآخرين حولها ولن يختلف هذا العامود عن هؤلاء.

وبالفعل تناول كل منهما طعامه في صمت وهمَّت هي بالرحيل وظل هو جامدًا غير مكترثٍ كأنها لم تكن.

التجاهل الذي تعاملا به أثار فضولًا بداخله عندما أغُلِقت الأبواب وانطفأت أنوار المنزل، وبدأت الأضواء المُنسلة من الخارج تتلاعب بعقله، تارةً تصور له شخصًا يحتضن جسدًا رائعًا في جماله، وتارةً يقتله، ثم ترسم له خيالًا لعجوز مَحْنِيّ، ثم عيونًا تنظر إليه في غضب، ثم فمًا ضخمًا، فيغمض عينيه ويحاول استحضار صورتها في مُخيلته، ويُحدث نفسه -إنها حقًا جميلة-. . حان وقتك أيها -العو-، وراح في سُباتٍ عميق.

****

منار

لا أعلم بمَ كان يشعر تحديدًا وما هو الدافع الخفي الذي كان يحركه كي يكون هكذا رائعًا وفريدًا.

أكان يخشى من فقدان الذاكرة؟ أم كان يخشى من موتي المبكر؟؟ حينها لن يتبقى له شيء سوى مجموعة من الذكريات المصورة يرغم بها عقله على تذكُري مع كل نفس سيبقى لديه. هل كانت هوايته الخفية تعذيب نفسه بالشوق إليّ؟

لم تكن الكاميرا تفارق يده، كان يحرص على أن يلتقط لي صورة في كل وقت وفي أي مكان، وأنا أقرأ وأنا أكتب وأنا أفكر وأنا عابسة، مبتسمة، ضاحكة، حتى وأنا أتشاجر معه كان يوقف الشجار بالتقاط صورة وابتسامة، فاعتذار، فلا يسعني إلا أن أبتسم.

ولكن سخرية القدر تركتني بدونه ولم يعد لديّ سوى عدد لا نهائيّ من صور خاصة بي فأنظر إلى كل واحدة منها، أغمض عيني وأستحضر وجهه عندما التقطها لي، ذلك الوجه الذي طالما كانت تظهر عليه علامات الانتصار على اللحظة بعد استراق كل صورة وكأنه في تحدٍ دائم مع الزمن. وسرعان ما أشعر بخيوط ساخنة تجتاح وجهي كأنها في سباق فأستسلم لها وأغمض عيني وأبتسم.

طارق كان رسَّامًا حالمًا، لم يكن هناك سقف لطموحه، كان دائمًا يقول لي: -ستتزوجين اثنين منارتي كان الله في عونك-. ولم يكن يمزح فهو بالفعل اثنان، أحدهما شديد المرح والحيوية يملؤه النشاط والأمل، لا يكف عن

المداعبة والتنقل من مكان لآخر، متفائل لأقصى الحدود لدرجة أن من يصاحبه لا يجد بدًا من أن يبتسم وتنتقل إليه عدوى المرح في الحال.
أما الشخص الآخر فهو على النقيض تمامًا، شديد الخمول والاكتئاب، لديه قدرة لا تُصَدق على التزام الصمت لعدة أيام متواصلة، يمر بجانبك وكأنه جسد ميت لا روح فيه، كأن هناك ريحًا خفيفة مرت تذكرك بوجود فرد آخر معك بالمنزل، لا يلتفت إليك كأنك غير مرئي، يبدو وكأنه انتقل إلى بعد زمني آخر. في فترة الصمت يكون شاردًا تمامًا كأنه يبحث عن سر ما، كأنه يرى شيئًا لا يراه أحدٌ غيره، لا يأكل إلا أقل القليل دون شهوة للطعام ولا قدرة على التفرقة بين الأطعمة حتى كنت أشعر في الكثير من الأحيان أنني لو أطعمته ورقا سيأكله!! وفجأة يخرج من تلك الحالة ويعود إلى المرح ويستعيد وجهه البشوش الذي كان عليه قبل أن تَدُق ساعة الخرس، يترك أرض الأموات الأحياء ليعود إلى عالم النبض. ويا ويلي لو تساءلت عن تلك الحالة العجيبة، فإذا به ينظر إليّ محدقًا في تعجب كأن ذلك لم يحدث، كأن ذلك كان شخصًا آخر.
أما أنا فأملك مكتبًا لتصميمات الجرافيك وقد تعرفت على طارق من خلاله.
فقد قصدنا في أحد الأيام من أجل تصميم إعلانًا لمعرضه الذي كان سيقام قريبًا وكانت لديه بعض الأفكار الخاصة وغير المألوفة كعادته وبينما كان يتجادل مع أحد المصممين ارتفعت أصواتهم، فكل منهما يحاول إقناع الآخر بفكرته والمصمم يحاول أن يشرح له صعوبة تنفيذ فكرته في هذا الوقت القصير، فهو كعادته يترك أموره لآخر لحظة، فخرجت إليهم وحاولت تهدئته واستضفته في مكتبي المطل على النيل. وبعدما جلس وهدأ رُحت أسأله عن المشكلة وبدأ يشرح لي فكرته، ولن أنكر أنني أعجبت بها كثيرًا فكانت

حقًا فكرة فريدة ولكني أكدت على كلام مصممي بأنها سوف تحتاج إلى وقت أطول من الذي تركه لنا ولكنني سأعمل عليها بنفسي هذه المرة. نظر إليّ في خجل وشكرني بحرارة، وبالفعل كان الإعلان جاهزًا في الميعاد وقام بدعوتي إلى معرضه بحجة أنه يريد أن يشكرني على مجهودي المضاعف الذي حمَّله لي ووجدتني أقبل كأنني كنت منومة مغناطيسيًا فقد رأيت فيه شيئًا ما يجذبني ولم أعلم ما هو.

ومن هنا بدأت علاقتنا في النمو شيئًا فشيئًا، فأنا لا أميل إلى التعجل بخلافه تمامًا، فقد كان مغامرًا حقيقيًا وقد ساعده في ذلك كونه وحيدًا. فقد كان وحيد والديه اللذين راحا ضحية حادث يُقال إنه حادث سيارة خلال رحلتهما إلى الولايات المتحدة. وقد قامت جدته برعايته حتى وافتها المَنيّة وهو في العام النهائي لكلية الفنون.

ولأنه كان يعلم أنني أهوى التصوير، ففي أحد الأيام مر عليّ في مكتبي بدراجته البخارية وقال إنه يريدني في أمر هام للغاية وكانت تبدو عليه أمارات القلق والجدية حتى إني أصبت بالفزع وذهبت معه وأنا أتساءل:- إلى أين نحن ذاهبون؟-.

قال في اقتضاب: -دقائق ونصل-، وإذا به يتوقف أمام مرسمه وقال: -وصلنا-. فترجلت ونظرت إلى الواجهة في دهشة فإن ما رأيته جعلني أشعر بالجفاف كأنني أقف وسط الصحراء واستطعت سماع دقات قلبي حتى خُيِل إليّ أنها تركت فؤادي وأنشأت فرقة موسيقية مصاحبة لهذا المشهد كي تزيد من التصلب الذي ألم بي. لا أتذكر كم من الوقت مرَّ عليّ وأنا على هذه الحالة قبل أن يمسك يدي برفق ويبتسم في مكر من يقول:-أوقعت بك-.

مافعله كان رائعًا بحق. لقد علق شاشة عرض أمام الأبواب تعرض الكثير

والكثير من الصور، كلها لي! ولا أدري كيف استطاع أن يلتقط هذا الكم الهائل الذي عجزت عن حصره. صاحبت هذه الصور التي تلى إحداها الأخرى دون توقف جملة خطفت بصري: -هذه من تجعلني كلًا-. وتوجهت إليه فإذا به يركع أمامي، مادًا إليّ يديه وهو يعطيني الكاميرا التي ابتاعها من أجلي قائلا: -أستجديكي كوني منارتي-.

لم أشعر بالوقت الذي تلا تلك اللقطة التي لا تنفَّك تنتهي حتى تعود لتبدأ من جديد. فصرنا زوجين بحياة غير اعتيادية، يغمرها الجنون واللقطات التصويرية لوجهي والبيات الروحي الذي كان يمر به.

فوجدت نفسي واقفة بين فكرة السكن وغير المألوف وحدي.

حتى طرأ أمرٌ ما.

****

استيقظ صابر في الصباح الباكر على غير عادته يوم العطلة، وظل جالسًا على سريره يُحدِّق في السقف وفجأة انتفض كأن هناك مناديا يستدعيه فلبى النداء دون تلكُّع. اغتسل وارتدى ثيابًا قطنية ناعمة حيث إنه قرر أن يخرج على غير عادته ليتريض! وبعد عشرين دقيقة كان في الخارج.

وبعد دقائق قليلة كان قد وصل إلى -مكانه المفضل- فوقف برهة يشاهد بعض العاملين وهم يسكبون الماء بغزارة لينظفوا المكان والبعض الآخر يقوم بإنزال الكراسي التي تم رفعها في المساء كلٌ يعمل في صمت وكأنهم آلات مُبرمجة.

حدَّث نفسه قائلًا: -يبدو أنهم مازالوا نيامًا، سأمر عليهم في طريق العودة-.

وبالفعل، عندما عاد كان المكان قد استقر وبه بعض الزبائن التي تهوى فطور العطلة الذي يقدمونه والذي لم يجربه يومًا، وقف مليًّا وقرر أنه لن

يدخل وحينما كان يُشرع في الذهاب، لمح طرف فستان أبيض. فعاد ليتأكد مما رآه.

-إنها هي!! كما كانت بالأمس شاردة، حزينة ولكن ساحرة-.

وقطع الطريق واتجه إلى المقهى واختار مائدة مواجهة لها كي يستطيع مراقبة قسماتها عن كثب وبدقة، فقد كان مشهورا بتدقيقه في كل شيء، تلك الدقة التي تصل إلى حد المرض.

ولكنه ما لبث أن جلس حتى انتفض وتوجه إليها وجلس معها على نفس المائدة. فنظرت إليه في استنكار جعله يشعر أنه يصيبها بالغثيان وقالت:

-إنها ليست مائدتك وهذا ليس توقيتك-.

كان يعلم أن تصرفه المندفع سيثير ردة فعل ما ولكنه لم يرَ تلك في الأفق فاستجمع نفسه وقال: -أعلم، ولكني أحببت مشاركة شخص ما حتى ولو في صمت-.

فما كان منها إلا أن أشاحت بوجهها بعيدًا عنه وعادت لتكمل شرب قهوتها.

وظلوا هكذا فترة من الوقت ولكن سرعان ما قطع هذا الصمت قائلًا:

-أتدركين أن اليتم حالة؟؟-.

حركت وجهها إليه في بُطء شديد كأنها لا تكترث ولكنها ادعت الاهتمام، قائلة:

-عفوًا؟-.

- اليتم، سيدتي، حالة.

- كيف؟

- ممُتنّ أنك سألتي. .

واعتدل في جلسته سعيدًا بأنه استطاع أن يثير اهتمامها.

وبدأ يسرد لها نظريته عن -اليتم- دون أن يشيح بنظره عنها حتى شعر أنه بدأ يتسبب في إرباكها.
- ليس بالضرورة أن يكون اليتم واقعًا ملموسًا ولكنه قد يكون حالة وشعورًا. حينها يصبح أكثر ضراوة وإيلامًا. إن تعاسة المرء تزداد كلما استفحل هذا الشعور بداخله.
هل تدركين ماذا يعني أن يشعر أحد باليتم وهو ليس بيتيم؟!
وقبل أن ترد، أكمل:
- إنها حقا نائبة، فهذا يعني أنه يحيا وسط العائلة بصورته فقط. أنه تحول إلى فريسة لوحدته، أن هناك ثُقبًا أسودًا يتسع قُطره في فؤاده فيبتلع كل ما هو -شعور حيّ-. هذا يعني أنه يفتقد حتى عينًا تطبطب عليه وقلبًا يحتضنه دون سؤال مُسبَق، هذا يعني أنه يحتاج إلى من يأخذه بين ذراعيه ولا يكترث بالوقت الذي يمر فقط يتشبث به باعثًا من جسده إليه برسالة قصيرة مفادها: -أنا هنا ولن أملَّ-.
واسترسل وقد صار الآن منفعلًا وبدأت يداه في الارتعاش.
- هل تدركين معنى أن أنظر في الوجوه المعتادة ولا أشعر بأنها عادت مألوفة؟؟ أن أستمع إلى حواراتها وقد أشارك فيها أيضًا ولكن لا أشعر بها ولا أتذكرها؟؟ أن أستدير فجأة ولا أجد لي ظهرًا. شعوري بأن حتى ظهري قد تخلى عني وتآمر ضدي مع وجهي الذي ينظر إليّ كل يوم في تحدٍ، يَخرُج لي كل صباح من تلك المرآة اللعينة مبتسمًا بسخرية من حالي البائس.
أشعر أنه لسبب ما قانطٌ مني وناقمٌ عليّ، فأنا في النهاية من سمح لهذه المرتفعات والمنخفضات اللعينة أن تجتاحه فقد فتحت لها الباب على مصراعيه وأنا لم أتجاوز الثلاثين بعد. من أين جاءت وما هي عوامل التعرية التي تلاعبت به كي تحيله إلى ساحة ممتلئة برُكام حرب ضَروس دارت بين

جيشين من الحيوانات الضارية، تغشيها الأحشاء الدافئة معلنة أنها قد انتهت للتو؟!

بعد أن أخرج تلك الكلمات الأخيرة، بدا وكأنه قد انتهى للتو من الركض، متعرقًا، ينهج بصوت مرتفع ورفع رأسه إليها فوجد الدموع وقد انهمرت من عينيها كالسيول تنظر إليه في ذُعر لا تُصدر صوت بكاء. كان مشهدا مؤلمًا بحق.

بدت وكأنها تحولت إلى تمثالٍ حجري شديد البياض حتى إنه يكاد يَشع نورًا يعمي الأبصار. شعر صابر بالذنب وكأنه أعاد نزف جُرح كانت تحاول حثه على الالتئام.

وأخيرا قرر أن يقطع الصمت الذي ساد معتذرًا:

- أنا آسف. . حقا آسف لم أقصد أن أضايقك ولكني. . مممم. . شعرت بأنني أريد مشاركتك أفكاري. . اعذريني.

وهم بالوقوف كي ينصرف ولكنها نطقت أخيرًا:

- انتظر. . أرجوك.

فجلس في بطء شديد كأنه يصور أحد مشاهد -التصوير البطيء- في فيلم درامي، واسترسلت:

- من أنت؟؟

قال: -صابر. . مندور. . اسمي صابر مندور-.

قالت: -منار. . سأراك غدا؟-.

قال دون تردد: -أكيد-.

ثم نهض وانصرف.

عادت منار إلى منزلها أو -ملاذها- كما اعتاد طارق أن يسميه. وبمجرد أن أغلقت الباب راحت تبكي بحُرقة كأنها أم ثكلى فقدت للتو -ضناها وفلذة

كبدها- وظلت تروح وتجيء في عصبية بالغة غير قادرة على الجلوس أو الدخول إلى غرفتها وظلت تهمهم: -لماذا ياطارق، لماذا؟- واستمرت هكذا حتى أصابها إعياء شديد وجلست على الأرض شاردة تبدو لمن يراها كأنها فارقت الحياة، حتى أغمضت عينيها أخيرًا و انتقلت إلى عالم آخر.

تفتح عينيها، تفركهما كي تفيق فتجد نفسها نائمة على لوحٍ خشبي تنظر أسفل منها لتجد نفسها مُعلَّقة في الهواء واللوح مربوط بحبال ملفوفة حول عنق رجلين عملاقين شديدي السمار تُغطي أجسادهم العديد من الفجوات العميقة كأنه قد تم قذفهم ببنادق ولكن بلا دماء فقط الفجوات التي تبدو وكأنها تعفنت ولكنها تبدو أيضا غير مؤلمة، فقد ظلا واقفين هكذا بلا حراك، بلا رمشة عين، كأنهما محنطين ولكن ببراعة -فنان-. كاد توازنها يختل وأخذت تصرخ طلبًا للجناة بلا مُجيب.

فبدأ صوتها في الاختفاء وظلت تحاول رويدًا رويدًا ولكنه سرعان ما ذهب عنها وتركها في هذا المكان البارد العطِن. حاولت البكاء، لكن دموعها أبت كأن جسدها كله أصابه الجفاف ولم يعد به ما تستخدمه في البكاء فاستسلمت وإذا بها توشِك أن تغمض عينيها تارة أخُرى حتى تراءى لها برق مهيب وسحب سوداء تزمجر في غضب وشراسة تضرب الرجلين في عنف وتزيد من غوائر أجسادهم. مرة، اثنتان، ثلاثة. .

- ما هذا! طارق!

شاهدت طارق محمولًا على إحدى السحب يمد يدًا محاولًا الوصول إليها واليد الأخرى يضعها على رأسه التي كانت تنزف بغزارة وإذا بالبرق يصعقه فيذوب أمام عينيها.

وتستيقظ من سباتها مع بزوغ الفجر مذعورة، تنادي: -طارق!!-.

ميعاد

ذهب صابر إلى عمله كالمعتاد ولكن باله ظل مشغولًا بـ-منار- طوال اليوم ولكن هذا لم يمنعه من التركيز في عمله والاستغراق فيه حتى قاربت الشمس على الرحيل، فلملم أوراقه وهمَّ بالعودة إلى منزله. كان يريد أن يغير ثيابه ويتأنق كي يقابل منار في المقهى وكان آخر شيء يريده أن يتأخر عليها، رغم أنهما لم يتفقا على ميعاد محدد ولكن كلاهما كان يدرك متى سوف يقابل الآخر، كأن قلبيهما تحدثا واتفقا مسبقًا. وبالفعل وصل إلى منزله وألقى نظرة على المقهى في الطريق وبالفعل لم تكن قد وصلت بعد، ظل يستجدي المِصعد أن يهبط من أجله ولكن دون جدوى فقرر أن يصعد السلالم ولكن قبل أن يصعد قرر التحقق من البريد لأول مرة طوال العشر سنوات التي قضاها عضوا ضمن قاطني تلك العمارة والتي لم يصله أي بريد خلالها والحقيقة أنه لم يكن يكترث، وكانت المفاجأةّ! ظرف أسود بلا أية بيانات فقط: -إلى صابر مندور وفي السطر الذي يليه:

-قد بدأت الرحلة. استعد-.

سَرت رجفة قوية في جسده لم يفهمها، فهو لم يكن يتوقع ذلك إطلاقًا.

وهو صاعد على السلالم ظل يحدث نفسه بصوت مسموع:

- بريد؟ ورحلة؟ أنا صابر مندور أكثر الأشخاص رتابة على وجه الأرض صاحب أكثر الحيوات مللًا، رحلة؟

وانفجر في الضحك كأنها نكتة. ألقى بالظرف على المنضدة الصغيرة التي وضعها خصيصًا في مدخل الشقة كي يحدثها عن وحدتها وحياتها البائسة

وأنه أفضل حظًا منها، قائلا: -اليوم لديك صحبة، آخر نكتة-.
وذهب ليستعد للموعد غير المحدد.
ولم يأخذ سوى -عشرين دقيقة- كما اعتاد. فتح الباب ثم عاد ونظر إلى الظرف ومد يده ليأخذه معه وهو لا يعرف تحديدًا لماذا أخذه، كأن شيئًا ما يحركه وليس هو من يتصرف بإرادته الحُرة.
كانت الساعة قاربت على الثامنة مساء، دخل المقهى وجلس على مائدته المفضلة ووضع الظرف أمامه وسرح معه، شيء ما كان يخيفه من معرفة الذي يحمله إليه وشيء يحُثه على أن يمزق هذا الورق الأسود اللامع الذي يثير استفزازه، ولكنه قرر أن ينتظر.
ها هي قادمة من بعيد كحورية خرجت لتوّها من الماء وتخيلها مرتفعة فوق الأرض قليلًا وحولها مياه ذهبية اللون تزداد بريقًا كلما اقتربت منه وعلى رأسها لآلئ متراقصة تكاد تنطق من بهائها وسحرها، تُداعب نسمات الهواء ثوبها الأبيض فيلتصق بها وكأنه يحتضنها شوقًا وطمعًا في أن يقتطف بعضًا من رحيق جسدها المرمري.
وفاق على صوتها تسأله:
- كيف أنت؟
ظل صامتا برهة، وشعر بالخوف من أن يقبض عليه متلبسًا بخياله، ابتلع ريقه وشعر بحرارة الخجل تضرب رأسه.
-صابر؟ كيف أنت؟- تساءلت في ترقب، وأخيرًا:
- بخير حال، وأنتِ؟؟
تنهدت: -ما زلت هنا. . ما زلت هنا-
ولمحت علامات التساؤل على وجهه وقبل أن يسألها بادرته بالسؤال: -ما

هذا الظرف؟-. فآخر شيء كانت تريده أن تتحدث عما بها.
فقال:-لا أعلم قصته لقد جاءني بالبريد وأنا أبدًا لم يُرسل إليّ بجواب ولو حتى جواب من مصلحة الضرائب، ولكني وجدت نفسي أحمله وأنا قادم إليك ولم أفتحه إلى الآن، و. . . . -
مدت يديها تلتقط الظرف وهي تومئ إليه برأسها مستأذنة وبحركة تلقائية يرد لها السؤال بإيجاب.
-لا عنوان؟ قد بدأت الرحلة. استعد-.
اتسعت عيناها فجأة وابتلعت ريقها ثم تركته من يدها كأن لدغها شيء ما!!
وقالت: -لنطلب بعض القهوة-
فاستجاب لها وبالفعل طلب النادل.
بدأت منار حديثها:
- هل تعتقد أن لقاءنا محض صدفة؟ ألا تشعر مثلي أن هناك شيء ما يجذبك نحوي؟ كأن هناك سرا ما على وشك أن ينكشف، وأن. . . أن هناك شيئًا غامضًا في انتظارنا؟ ولم تعط له مساحة ليجيبها ولكنها استتبعت:
- ألا تراودك الكوابيس؟ بالطبع تراودك.
نظر إليها بشيء من الخوف ولم يستطع أن ينطق.
- صابر. هذا الظرف. . . قد جاءني واحد مثله منذ يومين.
ضاعفت الدهشة تصلبه، وشعر أن كل شيء حوله قد اختفت ملامحه وأن المائدة وقدح القهوة قد تبخّرا ولم يبقَ سوى هو والظرف يدوران بسرعة بالغة، وتخيل الظرف بأنياب حادة طويلة وصوت يسخر منه وينذره ويتوعده، لم يفق إلا ومنار تناديه وقد تحشرج صوتها:

- صابر. . .

عاد إلى الواقع وسألها في وهن شديد:

- هل تعلمين ما بداخل هذا الظرف؟

قالت في تردد:

- نعم. مجرد جملة واحدة، افتحه كي أثبت لك أن هذه ليست صدفة، فالجواب الذي جاءني معي الآن.

ثم فتحت حقيبتها وأخرجت الظرف المثني منها وأعادت طلبها: -افتحه أرجوك-.

لم يستطع صابر المقاومة وفتح الظرف.

-عندما تلتقيان في منتصف أغسطس في مقهى -KAVA-سأظهر أنا. يجب أن يجتمع ثلاثتنا ربما نستطيع قهرهم-

يزيد راغب

-ملِك الرَماد- كما تسميه عشيقته الصهباء الاسكتلاندية الأصل الأمريكية الجنسية -أيلا-. بعد كل لقاء مع يزيد تشعر أيلا بقلبها يعتصر وتكاد تشم رائحة دخان حتى إنها تلتفت يمينًا ويسارًا باحثة عن مكان الحريق ولكنها سرعان ما تدرك أن ذلك ما هو إلا أثره الذي يخلفه وراءه. فبرغم ضمه العنيف لها وقبلاته الحارة التي تنهمر عليها كلما تقابلا إلا أنها تشعر دائمًا أنه لا يراها، مجرد دُمية يتلاعب بها دون أن يحفظ حتى قسماتها، بل والأسوأ أنه يظل ممدًا بجانبها ساهمًا يُدخن بتلذذ كأنه يقيم علاقة حميمة مع سيجارته!! ورغم كل ذلك فقد تحملته أيلا وهي لا تدرك هل حقا أحبته أم أنها وجدت معه ملاذًا كانت في حاجة إليه، وهل حقًا مقتت كونها غير مرئية أم أن هذا هو تحديدًا ماكانت تحتاج إليه وهو فهمه دون سؤال منها ومنحها إياه. الشيء الوحيد المؤكد أنه صار -أفيونتها-.

كل ذلك لم يكن شيئًا بجانب حالته التي تدهورت بسرعة عجيبة في الآونة الأخيرة قبل أن يعود إلى بلاده.

فطالما كان يشكو من الاكتئاب الشديد بسبب الكوابيس التي كانت تقتحم نومه، هذا على الأقل ما كانت تعرفه، حتى إنه أفرط في تناول مضادات الاكتئاب وصار يمزجهم معًا ولكن دون جدوى بل ازدادت حالته سوءًا فصارت تنتابه حالات من الصراخ الحاد ظنًا منه أن هناك أشياءً تتحرك داخله ويقوم بحك جسده في عنف حتى إنه كان يدمي دون أن يشعر حتى بألم الجروح التي تنتج عن تلك النوبات، وليس هذا كل شيء بل كان يصف

لها أشياءً يراها من وقت لآخر تسير بجانبه أو فوق جسد أيلا. سرعان ما أدركت أنه يعاني من الهلاوس بسبب إفراطه واستهانته بتناول تلك الأدوية ومزجها بأنواع لا تعلمها من المواد المخدرة، فقد كان يائسًا بحق وحاولت أن تثنيه كثيرًا عنها لكن باءت جميع محاولاتها بالفشل الذريع، وبعد أن تدهورت حالته لم يعد يحتمل نفسه وفاجأها يومًا بطلبه:

-أيلا. . . أنقذيني، أنا لم أعد أستطيع التفرقة بين كوابيسي وواقعي، أنا أحتاج إلى واقعي-.

ثم ارتمى على الأرض يئن ويتلوى.

وبالفعل اتفقت أيلا مع المشفي الذي تعمل به ممرضة وبدأت رحلة سحب تلك السموم من جسده الذي تحول إلى أنبوب ورقي مفرغ حتى من الهواء. لقد كانت رحلة إحياء مومياء وقد كانت مُضنية ومؤلمة لكنها تمت بنجاح، وعاد يزيد ساهمًا من جديد يُمارس الرذيلة مع سيجارته ويتغزل في الدخان الذي ينفثه، عاد كما كان. لا يراها.

وفي أحد الأيام دون أن يمهد لها أو يفصح عما كان يدور بخلده، ولم يكن هذا بغريب.

-أيلا إني عائد إلى بلدي، إنها مهمة سأتمها وأعود لأبني معك قصة جديدة وأشهد صداها وأحتفل-.

لم تستوعب أيلا كلمة مما قال ولكنها ظلت تردد في هستيريا:

-عائد. . ! عائد إلى أين؟ وأنا؟

صحيح لم يكن هناك -هي- أبدا فقط هو. يزيد وكوابيسه وهلاوسه.

وبينما هي في حالة صدمة تتحدث إلى نفسها كان قد استدار بالفعل وهم بالرحيل وهو يقول: -سأعود-.

وهو يعلم في قرارة نفسه بأنه كاذب.
-سأتركك خلفي مبتئسة، مشتتة وأرحل. وسأتحدث عن حالك المزري وكأنني لم أصنعه لك بيدي وكأنني لم أغُرقك فيه. وسأُعبّر للجميع عن استيائي وأهديك قلمًا ترسمين به ضحكة صفراء على شفتيك المشققتين من عطش الطريق وأستدير تاركك خلفي ناظرة إليّ بحسرة، مشدوهة من ثقتي وهدوئي وكأنني لم أكن الطاعن ولم أكن السم في دمك البريء.
فلترحلي بعينيك اللائمتين، وتذوبين مع غبار الطريق فأقنع نفسي بأنك كنت حلما وفسد!-
لم يكلف خاطره بأن يحتضنني، يطمئنني، ولو كذبًا، بأن كل شيء سيكون بخير، لم يكترث بأن يقول لي أيًّا من هذه التُرهات كأنه كان يتحدث إلى الحائط خلفي. رحل ولم يعبأ بي. هذا يزيد الذي أعرفه أو لا أعرفه.

****

إلى يزيد راغب. . .

بعد التحية،
موعدنا هذا الصيف منتصف أغسطس في مقهى -KAVA- بحيّ المعادي.
ستعرف تفسير كوابيسك حينها وستعلم سر وفاة أبيك.
إن لم تصلك مني رسالة أخرى خلال شهر من تاريخ استلامك هذه الرسالة، سلم الرسالة المكتوبة في الورقة المرفقة في ظرفين مماثلين بدون أيّة بيانات، فقط -قد بدأت الرحلة، استعد-، موجها واحدة إلى -ص- والأخرى إلى -م- ، يدا بيد إلى مستر مكسيم الذي يعمل في محطة البنزين الواقعة بجوار منزلك وهو سيقوم بإيصالها إلى أصحابها.

تحذير: لا تطلع أحدا على هذا الأمر ولا تستخدم بريدك الإلكتروني منذ اللحظة التي تتسلم فيها رسالتي هذه.

أخذ يزيد يعيد قراءة تلك الرسالة مرارًا وتكرارًا وهو مُلقى على أحد المقاعد في المطار منتظرًا ميعاد رحلته العائدة إلى القاهرة.
-هل حقا أفعل هذا؟ أعود بسبب رسالة من شخص لا أعرفه، أرسل إليّ كلامًا لا أفهمه لأشخاص لا أعلم عنهم شيئًا!! هل أنا مسحور أم ماذا؟ أُغيِّر المسار تمامًا بسبب رسالة غامضة أشعرتني أن هناك من يراقبني ويطالب برقبتى. لماذا أفعل هذا؟ أمللت من حياتي فقررت التغيير أم أنني حقًا أريد أن -أعرف-. ماذا لو لم يظهر هذان الشخصان، ماذا لو كانت مجرد مزحة،

ماذا لو كنت أهلوس من جديد. لا يهم الآن فأنا عائد وسأرى ما تخبئه لي تلك الكلمات.

ما زالا متجمدين في مكانهما لا ينبسان ببنت شفة كأنهما أصيبا بشلل كُلي.

ثقطع صمتهما النادل وهو يقدم لهما القهوة. فقالت:

-طارق كان مهووسًا باللون الأسود. لا أعلم إن كان هناك رابطٌ ما لكنني أشم ريحه وأرى وجهه مذعورًا كل ليلة. وصمتت محاولة استجماع قوتها حتى لا تجهش بالبكاء.

فبادرها صابر بالسؤال وقد بدى على ملامحه التأزُم:

- من طارق؟

- زوجي. لقد مات فجأة ولا أستطيع أن أصدق إلى الآن.. و... و....

ثم انفجرت بالبكاء حتى لفتت إليهما الأنظار، فارتبك صابر وحاول تهدئتها دون جدوى فقرر أن يكف عن المحاولة وتركها تبكي كما تشاء.

أشاح بوجهه عنها كأنه لا يطيق بكاءها وغاص في أفكاره وتخيلاته وفجأة تذكر أبيه وكيف انتهت حياته نهاية غاية في التراجيديا ولكنه لم يبكِ رغم أنه كان في الثامنة عشر من عمره مدركًا لكل شيء لكنه ظل صامتًا شهورًا كأنه لم يستطع أن يستوعب أن ذلك قد حدث بالفعل. يااااه كم تحمل الكثير أيها الصمت، فشعر فجأة أنه يشفق عليها ونظر إليها بحنان وأمسك بيدها مطمئنًا وهو يقول:

- سنعرف كل شيء لا تقلقي.

واستطرد قائلًا:

- حياتي قبل لقائنا لم تكن تنبض وهي ليست مثالية، أبدًا لم تكن، ربما هذه يد القدر تمتد إليّ كي أشعر لأول مرة بحراك داخلي.

نظرتها إليه لم تكن تحمل أي معنى، فقط قالت:
- منذ يومين، عندما استلمت هذا الظرف وأنا أجيء إلى هنا ربما أجد شيئا، فأنا أقطن قريبًا ولكني لم أجلس هنا من قبل، ربما هذه أيضا ليست صدفة. يا إلهي أشعر أن هناك شيئًا خطيرًا، أشعر أن طارق يشاهدني الآن فاستدارت فجأة كأنها شعرت بوجود أحد يقترب فابتعد صابر بظهره بفعل تلك الحركة المفاجئة ولكنها اعتدلت من جديد وهي تطأطئ رأسها كطفل مذنب وهي تقول:
- أرأيت.. سأُجَن... سأجن!
- منتصف أغسطس قد اقترب وسنرى حينها من هذا الشخص وماذا يريد. ولكن عليكِ ألا تستسلمي للحزن وألا تدعيه يعوث في نفسك فيمتد إلى عقلك الباطن فيقفا معًا ضدك فتُدمِني الوهم وتقتلين نفسك ببطء.
إن كان هناك شيئًا حقيقيًا، سيظهر بالتأكيد.

****

رسالة من الموتى

كائن ما جالس على أرضية غرفة، أو هكذا بدت، متكور على نفسه حتى إنها لم تستطع تمييز نوعه إن كان بشريًا أم كائنًا آخر، يحيط به في دائرة مكتملة سائل لزج قُرمزي اللون، تتسع المساحة التي يحتلها تدريجيًا، تطاير منه الأبخرة وكأنه يغلي، رائحتها خانقة وكأنها رائحة الموت.

- هو والسائل ولا شيء آخر؟ لا لا هناك في هذا الركن شيء ما، شيء يتمايل أو ربما يتلوى. سأقترب في حذر، سأكتم أنفاسي حتى لا أوقظ هذا الشيء.

يا إلهي الجو خانق أشعر أن روحي ستُقبَض الآن.

وعلى أطراف أصابعها تقترب في بطء وخوف، يرتعش جسدها من شدة برودة الأرض التي بدت وكأنها مصنوعة من الثلج وهي في الحقيقة ليست سوى رمال شديدة الثِقَل تلتصق بها أصابع قدميها العارية وترفعها جاهدة حتى تتقدم. بدت المسافة أميالا رغم أنها بأم عينيها تراها مجرد ثلاث خطوات، لا تعلم كيف تطول المسافة كلما اقتربت وكيف تتسع الغرفة كلما تقدمت نحو المتمايل.

عندما وصلت بعد عناء، أرادت أن تصرخ ولكنها لم تتمكن من ذلك:

- إنه -لسان بشري-! ماهذا وأين أنا؟!

أجابها صوت لا تعلم مصدره: -إنها مقبرة-.

استدارت مفزوعة تحاول أن تعود لتهرب لكنها تعثرت في المتكور الجامد فإذا بأعينهم تتلاقى. . طارقّ!

قال لها بلسان ثقيل وعينه الدامية تقاوم النظر إليها:

- في الصندوق ستجدين كل شيء. . سامحيني.
وظلت الكلمات تتكرر وشيء ما يسحبها بعيدًا عنه بسرعة فتمد ذراعيها محاولة الوصول إليه باحثة عن أي شيء تتشبث به كي تظل معه، فبدأت الغرفة تنكمش وطارق يصغر حتى اختفى صوته واختفت المقبرة ووجدت نفسها مجددًا على اللوح الخشبي المُعلَّق لا شيء أسفلها سوى السواد الشديد فقررت أن تقفز وتنهى تلك المعاناة. فإذا بها تستيقظ مفزوعة إثر ارتطام رأسها بالأرض.
آه يا طارق. ماذا كنت تخفي.

****

الغريب

استقر يزيد في مقعده بالطائرة وكادت فرحته تكتمل بغياب من يسكن المقعد المجاور لكن سرعان ما تبددت بتقدم رفيق رحلته.

رجل خمسيني، مُنمَّق الهندام دون مبالغة، شعره حالك السواد إلا من بضع شعيرات بيضاء تبدو وكأنها طوق من أزهار الياسمين تصنع تاجًا يزين رأسه.

جلس بجانبه في صمت، فنتهد في راحة، لن يزعجني بأحاديث ليس لي شأن بها فما يدور في رأسي يكفيني بؤسًا. فأغمض عينيه ووضع السماعات في أذنه مستمعا إلى موسيقى -الميتال- المفضلة لديه. وبالفعل لم يشعر بوجوده ولم يحاول أن يوجه إليه أيّ كلمة، حتى جاءت المُضيفة لتقدم لهم الطعام وبالطبع لم يشعر بها إلا بعد أن وكزه برفق حتى يستجيب لندائها، ففتح عينيه مُعتذرًا، واعتدل في جلسته كي يتناول الطعام. فوجده يقول دون أن ينظر إليه: -ليس هكذا-.

فتعجب منه، هل حقًا كان يحدثه أم يُحدِث نفسه؟؟

ثم كرر: -ليس هكذا. . نعم أحدثك-.

قال: -استمحيك عذرًا؟؟ وقد بدا عليه الغضب-.

قال: -ليس هكذا تَنسى بل تُنسى-.

فنظر إليه أخيرًا وقال:

- ليس بالصخب تصل، بالصخب تهرب وفي الصخب تضيع وبالطبع لك مطلق الحرية ففي النهاية ستدفع ثمن اختيارك وعليك أن تقرر هل تريد

أن تجد -نفسك- أم تريد أن -تضيع؟-.
وأكمل تناول طعامه في هدوء ولم ينطق بعد ذلك بكلمة واحدة حتى نهاية الرحلة ولم يستطع أن يجادله أو يتناقش معه في شيء، فبرغم جهله بما يتحدث عنه إلا أنه شعر أنه يرى شيئًا ما من خلاله كأنه ذلك الحكيم الذي يقطع الناس مسافات خُرافية ويمرون بمخاطر جمَّة حتى يصلوا إليه ليُرشِدهم، ينير لهم الطريق ويجيبهم على ما يحيّرهم.
ورغم أنني لم أفهم، لم أسأل ولكنني شعرت فجأة بأنني في الرحلة الصحيحة رغم أني لا أرى الدرب وتذكرت فجأة جمُلة أبي القديمة:
- أغمض عينيك ولا تتحدث، ستجد الرائحة أقوى والصوت أنقى والرؤية أوضح.
فأغمضت عيني وأنا أردد. . لن أنسى. . . لن أنسى.

****

زيارة

- د. صابر. . . هناك سيدة في انتظارك!!

قالها -عليٌّ- الفرّاش بلا اكتراث وهو يقدم لصابر قهوته.

ولكن صابر سأله في توتر وذهول فقد ظن أنها ربما تكون -منار- وأن أمرًا ما قد طرأ ولكنه سرعان ما تذكر أنه لم يَذُكر لها بعد ماذا وأين يعمل، فترك مكتبه وتوجه للخارج فإذا بها امرأة في الستينات من العمر تقف في شموخ تشاهد المجسمات المعلقة على الحائط كملكة فرعونية تعاين تماثيل قصرها.

- أمي!

قالها صابر وهو يكاد يفقد وعيه من هول المفاجأة.

استدارت أمه في هدوء ولكن لأول مرة يبدو عليها القلق وقالت:

- أريدك في أمر هام.

لا حضن ولا نظرة حنان ولا كلمة عذبة، ألم تجرب كلمة -افتقدك-، ألا تشتاق إليّ حقًا؟! أخذ يكلم نفسه وهو مُتصلِّب مكانه كمسمار دُق في الأرض، ثم بدأ يتحرك عندما وجدها تتوجه إلى الداخل بثقة من يحفظ معالم المكان عن ظهر قلب، فانصاع للأمر الصامت ولحَق بها.

وبدون أية مقدمات -كالعادة- قالت:

- احذر مما أنت مُقبل عليه.

صعق صابر وشعر أن الحجرة قد ضاقت فجأة وتخيل أمه تصفعه صفعات متتالية وهو أمامها مستسلم دون أدنى مقاومة. .

- ماذا تقصدين؟

قالت:

- زارني أبوك أمس وأخبرني أنك تسير معه. . احذر مما أنت مقبل عليه فهو لم يفعل بأبيك حُسنًا.

- ولِمَ تكترثين؟ لِمَ الآن؟

قالت في برود شديد: لم تفهم ولن تفهم إلا إذا سلكت هذا الطريق، ولكني أعذرك فهو ليس خطأك.

ثم همّت للمغادرة وهي تقول:

- تذكر. هو الآن تحت التراب ولكن هذا المجنون ما زال يزورني وأعلم أنك لن تهتم بما أقول ولكني أردت أن أطُلعك على رسالته ربما تكون أقل فضولًا منه.

وانصرفت مخلفة أثرها ألفَ سؤال.

جلس وهو يتألم، ولم يستطع أن يُميز أهو ألم عضويّ أم نفسيّ، ولكنه شعر بقلبه يُعتَصر ألمًا حتى إنه شعر بضيق شديد في النفس وأخذ يُجاهد حتى يتمكن من أن يقبِض على بعض الهواء. وأخيرًا تمكن من أخذ نفس بسيط.

تنهد وقال مُحدثًا نفسه: -حتى النَفَس يهرب مني-.

حاول النهوض ولكنه شعر بإعياء شديد حتى إنه قرر أن يذهب لأول مرة في عمره إلى المنزل باكرًا وسط ذهول الجميع، حمل حقيبته وسار منكَّس الرأس محاولًا ألا يسقط فيسخر منه الجميع علنًا، فيكفيه علمه بكونه أضحوكتهم وقت راحتهم ولكنه لم يكن في وضع يسمح بتقبُل المزيد من الألم.

تمكن من النزول بعد معاناة، وألقى بنفسه في سيارة الأجرة التي ظهرت

بمجرد نزوله كأن القدر يأخذ بيده.
بدا الطريق طويلًا بلا نهاية، هاجمته الأفكار كحيوانات مسَعورة تتصارع على الفريسة الطازجة، أمسك برأسه بين يديه وأغمض عينيه، أراد أن يصرخ ويقول لها: -كفى!- لكنه حاول تمالُك نفسه حتى لا يثير ذُعر السائق أكثر من ذلك فقد كان يراقبه في المرآة بنظرات حذِرة، فقرر أن يحاول الاسترخاء، أرجع رأسه للخلف وأغمض عينيه محاولًا تخيل نفسه طائرًا مرة ومُستلقيًا على الرمال تحت شمس الغروب مرة أخرى، حاول أن يتذكر أيام طفولته الصامتة ولكنه لم يجد شيئًا سوى صمت أبيه ونظرات أمه الجامدة ، على الأقل هذا ما يتذكره، حاول أن يُنقِّب أكثر في باطن صندوق ذكرياته المُترب المُلقى في ذلك المخزن المسمى العقل، فرأى وجه أبيه القلق وهو يُرسله إلى منزل عمته.
بدا اليوم معدًا لإقامة مراسم تأبين، كان أبواه منشغلين بتجهيز أغراضه، يتحدثان بالنظرات وظل هو واقفًا في شُرفته يُشاهد أوراق الشجرة العتيقة الصامدة أمام المنزل تتساقط بغزارة على غير عادتها حتى عندما يزورها الخريف ليغتصب أوراقها الخضراء، وتخيل الأوراق المتساقطة قطرات دمها الذي تنزفه بغزارة فارتمى على الأرض واضعا وجهه في كفيه وبكى بحرقة المفجوع ولأول مرة ربتت أمه على كتفه وقالت: هذا من أجلك.
أكنت حقا أبكي على فراقهما، أم إن الشجرة قد ذكرتني بنفسي الضائعة التي يَقتِطع منها كل من يمر بها جزءًا مُحدِثًا نزيفًا هائلًا لا يكترث أحد حتى بإيقافه.
ألعن المواجع حينما تصحو فجأة فتنهش فيّ بتلذذ دون شفقة، فلا هي تتركني أغفو ولا تسمح لي بالصراخ والعويل. . تقُضّ مضجعي أيامًا طوال

وكأنها كانت في انتظار إشارة الانطلاق، تغرس في جسدي أشواكها الحادة بتأنٍ حتى تُضاعف من عذابي. . وقطع أفكاره صوت السائق وهو يقول:
-حمد الله على السلامة يا بيه-.
ففتح عينيه بثقل، ثم اعتدل في جلسته. أعطى السائق الأجرة وترجل من السيارة. انطلق السائق بسرعة كأنه تخلص من عبء ثقيل. ظل واقفًا أمام البناية يتأملها بُرهة حتى قرر أن يصعد إلى شقته ليحتضن ذكرياته الباهتة ويغط في النوم عله ينسى، أو ربما يتذكر.

****

الصندوق

في مكتبها المُطِل على النيل، وقفت أمام النافذة تسترجع تفاصيل تلك الزيارة المؤلمة من عالم المجهول وتذكرت الصندوق الذي تحدث عنه حبيبها الدامي فاستدارت وأخذت تجول ببصرها في أركان الحجرة كأنها تحاول أن تستحضر أمرًا هاربًا من مقدمة الذاكرة، ولكن دون جدوى، ثم أخذت تُنقِّب في جميع الأدراج والخزائن وتُزيل كل ما على الأرفف، محاولة العثور على ذلك -الصندوق-، أي صندوق؟ لا تعلم، ولا تصدق أنه جاء اليوم الذي تذعن فيه لأمر -حلم-. أخذت تلهث وهي تجري بين أركان الغرفة غير مكترثة بالأشياء التي تتعثر بها وتتساقط حولها وكأن زلزالًا قد ضرب المكان فبدأ يتهاوى على شخص خارج نطاق اللحظة. بدت كمدمن يبحث عن أفيونته التي يعبدها.

وعندما أصابها اليأس والإعياء جلست على الأرض، ساندة برأسها إلى الحائط وجالت ببصرها في المكان لتجده يغوص في فوضى عارمة، فتفاقم داخلها الشعور بالضياع وكأن هناك من سلبها كل شيء فجأة، كأن الكون كله تآمر ضدها واستطاع أن يرشو حتى عقلها فلم يعد قادرًا على إغاثتها.

قامت ونظرت إلى وجهها في المرآة فإذا بامرأة شاحبة، مُشعثة تبدو وكأنها خارجة من أحد أفلام -الزومبي- تنظر إليها من داخل المرآة بنظرة زجاجية. . لم تنفعل، وراحت تهندم من نفسها واغتسلت وتوجهت إلى المكان الذي تركت به قلبها.

توقفت بسيارتها أمام -المرسَم- ،هناك كانت بداية قصة عمرها وهناك أكيد

ستكون الإجابة.
ترددت قليلًا قبل أن تترجل من سيارتها، شعرت وكأنها لم تكن وحدها، هناك من كان يدفع بها ويشاهدها. تتلفت حولها كي تتأكد مما تشعر به، لكنها لم تجد أحدًا. فقط هي والصمت المميت.
اقتربت من الباب وأخرجت المفتاح من حقيبتها، وضعته في مكمنه وأدارته حتى سمعت الصوت الذي يدعوها إلى الولوج.
-ها نحن نتقابل من جديد أيها العزيز- قالتها وهي تخطو أولى خطواتها منذ عام.
دخلت منار بخطوات متثاقلة وحذرة كأنها تتجنب شيئًا سيظهر من العدم. بدا المكان وكأنه تعرض لعاصفة رملية عاتية، تفوح منه رائحة عطنة، كادت تختنق لولا أنها حاولت نفض هذة الأفكار عن رأسها وتظاهرت بانفصالها عن الواقع الملموس، حاولت أن تتخيل المكان حينما كانت تذهب إليه وطارق ما زال على قيد الحياة بحبه وجنونه وغموضه. وقتها كان المكان يبدو مُزّينًا بقوس قزح ضخم مقسم على أرجائه وطارق ملطخ بالألوان يستمع إلى موسيقى - Vivaldi - ويتراقص مع فُرشاته كأنه في عالم مسحور تملؤه الجنيات الراقصات وأصدقائه من المخلوقات غير المرئية إلا له وحده،كان يسبح في عالمه الخارق للطبيعة.
حاولت أن تستعيد وعيها من جديد وتتذكر ما جاءت من أجله.
جالت بعينيها في الأرجاء وهي تفكر من أين تبدأ البحث الذي بدا أصعب مما تخيلت وبدت فكرة قدومها كي تبحث عن صندوق في حلم أكثر حُمقًا من ذي قبل. هكذا نحن حينما تشتد علينا صعوبة الحياة يتحول كل ما بدا سخيفًا وساذجًا وقت الرخاء إلى شيء منطقي وقابل للتصديق.

لم يكن مكانًا ضخمًا ولم يكن صغيرًا أيضا، ولكن ازدحامه بالأشياء المختلفة جعله يبدو أقرب إلى مخزن منه إلى منبع للإلهام. تبعثرت اللوحات في كل مكان. يقع المكتب في آخر المرسم مواجهًا للباب، وخزينتان خشبيتان مصنوعتان بحرفية هائلة واحدة على يمين المكتب والأخرى على يساره. بخلاف هذه المعالم الأساسية لا يمكن لك أن تميز باقي التخطيط الهندسي للمكان.

رغم ذلك بدأت تبحث في دأب وجدية، تزيل اللوحات المتربة وتبحث خلفها وأسفلها تتوقف تارة عند أحدها، تتأملها، تتذكر شيئًا، ثم تستكمل المهمة، تنتقل إلى الخزينة ثم المكتب ثم الخزينة الأخرى حتى بدأ اليأس يتملكها وقررت أن تُعلن توقف المهمة وتوجهت ناحية الباب وإذا بها تهم بإغلاقه حتى سقط شيئًا من خلفه أحدث دويًا هائلًا أفزعها، ودخلت مرة أخرى تبحث خلف الباب عن سبب هذا الانفجار فإذا به ضالتها. وجهت إليه سؤالها وهي متسمرة من المفاجأة، من أين سقطت؟ نظرت إلى أعلى، فإذا بها ترى رفا صغيرا من الطوب فوق الباب يبدو أنه قد صنع على عجل نظرًا للتعرجات الكثيرة الواضحة على حافته.

-أكان هناك منذ زمن ولم أره، أم أنه صُنع مؤخرًا-.

حدثت نفسها وهي مشتتة بين العديد والعديد من الأسئلة.

اقتربت من الصندوق وقد سرت في جسدها رجفة جعلتها تتردد، وشعرت بأن هناك أحد خلفها فاستدارت بعينين زائغتين تبحث عمن يراقبها ولكنها لم تجد أحدًا وورغم ذلك شعرت به، بأنفاسه يقترب منها ويهنئها، لقد نجحتِ منارتي، لقد نجحتِ حبيبتي، لقد آمنتِ برسالتي رغم أنني لم أكن يومًا نبيا.

اقتربت من الصندوق ورفعته ببطء من به سقم، مسحت عليه لتزيح عنه غبار الذكرى والزمن، احتضنته وأغلقت الباب وانطلقت عائدة إلى المنزل.
ظلت طوال الطريق تنظر إلى الراقد بجانبها. تخيلته حيا ينظر إليها ويستجديها أن تفتحه كي يُخرِج ما في جُعبته وينهى الشتت الذي أصابها منذ أن بدأ هذا اللغز يغزو حياتها حتى أحكم قبضته عليها وصارت في يده مفعولا به، مجرد صدى صوت مبحوح يخرج من جسد يبدو حيًا لكنه في الحقيقة خاوٍ لا يحتفظ بشيء كمصفاة متسعة الفجوات. مجرد التفكير بما قد يكون مخبأ يربكها وأخذت تتساءل -ماذا بعد؟- هل تذهب به إلى المنزل وتفتحه وحدها، أم تنتظر لقاءها مع -صابر- أم تنتظر الاجتماع المنتظر بالشخص المجهول الذي أرسل إليهم رسالة الغموض من عالم لا يُدركان إلى الآن هويته، وهل هم متورطان في أمر ما، أم أن الأمر مجرد -سر- سينكشف بسبب رابط غير معلوم إلى الآن بين هؤلاء الأشخاص.
وقررت في النهاية أن تنتظر حتى تخبر صابر بما حدث معها وتعرف رأيه في الأمر برُمته.
قضت منار ما تبقى من النهار مستلقية على فراشها تغمض عينيها بعض الوقت وتحملق في السقف البعض الآخر لا تتحرك كجثة راقدة في سلام، حتى استطاعت أخيرًا أن تستسلم للنوم.
لا أدري كم من الوقت مرَّ عليّ وأنا غارقة في تلك الغيبوبة، وحينما فتحت عيني لم أستعد إدراكي مباشرة، كأنني بالفعل كنت في غيبوبة طويلة.
حاولت تحريك يدي كي أطمئن أنني في الواقع وعلى قيد الحياة ورفعتها أمام وجهى ورحت أتأملها طويلا وأقلبها بتمعن كأنني أبحث عن شيء خفي وإذا بها علامات الزمن قد بدأت في الظهور فجأة، ويداي ترتعشان دون

توقف، حينها فقط أيقنت أنني مازلت في ذلك الكابوس وأنني مازلت لعبة في يد الزمن يعيد تشكيلها من وقت لآخر كي يكسر الملل أو كي يذكرها أنه هو المتحكم وأنها مجرد أداة في يده إن فكرت أن تتحرر يومًا من قبضته.
حاولت مقاومة تلك الأفكار الكئيبة ونهضت من فراشي بأعجوبة كأنني نسيت كيف أتحرك. هاتفت صابر فجاءني رده سريعا كأنه كان ملتصقًا بهاتفه واتفقنا على اللقاء في مقهى قدرنا بعد ساعتين من ذلك الوقت، أي في التاسعة مساء، لم يسألني إن كان قد جد جديد وبدا كالغارق الذي كان يبحث عن طوق النجاة فلم يتردد عن التشبث به حينما جاءه متمثلا في مكالمتي تلك.
جلست أحتسي قدح القهوة عله يقوم بسحره المعتاد ويرد إلى وعيي وإدراكي كاملين دون نقصان ومع كل رشفة أختلس نظرة إلى الصندوق الجالس في مواجهتي في تحدٍ كمن يستعد للمنافسة. شعرت وكأنه من المحظور عليّ النظر إليه وتعجبت لحالي كيف تبدل هكذا حتى أصبحت كورقة شجرة بالية تكاد تتفتت مع كل ريح تزورها.
عجيبة هذه الحياة، أخذت أقاوم الحب بمآسيه وآلامه وتراجيديته المُفرطة فغرقت في العشق ولم أستطع النجاة ولم أندم على ذلك بل أحببته وتمنيت لو لم ينته. وها أنا ذي أغرق ثانية ولكن هذه المرة في بئر من الوحدة والوحشة والغموض، حقًا أمقت ذلك وألعنه في كل صباح، فلا أنا أستطيع العودة إلى الوراء ولا أنا أستطيع التوقف الآن، بل أشعر أن بداخلي دافعًا قويًا يحُثني على المُضيّ في هذا الطريق غير المعلوم حتى النهاية حتى وإن كانت نهايته تحمل نهايتي.
لم يأتِ قدح القهوة بثماره المنشودة، فمن الواضح أن أفكاري المتصارعة

كانت أعتى من قدرته على إخراج عقلي من صندوق الهذيان المحبوس بداخله إلى الواقع الواعي، فقمت بإعداد قدح آخر وهذه المرة خرجت إلى الشرفة بعيدا عن جو المنزل الخانق وجلست على كرسي البامبو المفضل لديّ وأغمضت عيني في محاولة أخيرة للاستمتاع بنسمات الهواء الرقيقة وطعم القهوة يتغلغل في أواصري يصيبها بوخز محبب ثم نتوحد معا كعاشقين يلتحفان ببعضهما البعض، يتحدث جسديهما بلغة الاحتضان بلا كلمات بلا ترهات.

أنهيت رحلتي القصيرة مع القهوة وقمت أستعد من أجل ميعادي مع صابر، بطل عالمي الجديد مصطحبة رفيقي الخشبي لأعرفهما ببعض حينها لن يبقى سوى العضو الغريب الذي اجتمعنا بدعوته.

التقيت بصابر، ورغم أنني قد ذهبت باكرا إلا أنني وجدته جالسًا في انتظاري كأننا لم نطق انتظار الموعد الذي حددناه بأنفسنا وبدا ككوب قد امتلأ عن آخره حتى أوشك على الانسكاب.

كان وجهه مصفرًا ويابسًا، كأن الدماء قد سُحِبَت منه حتى آخر قطرة، عيناه غائرتان ومع بياضه ونحافته بدا كدراكولا وقد أعياه انتظار الفريسة كي تمده بالدماء اللازمة. صُعِقت من منظره ولكنني لم أكن أحسن حالا منه فعندما اقتربت منه وأنا محتضنة -الصندوق- كدت أتعثر من شدة التوتر فقام مسرعا ليمسك بي قبل أن أنكب على وجهي. بدونا وقتها كتجار ممنوعات مبتدئين يبرمون صفقتهم أمام أعين الجميع.

لم نتبادل كلمات التحية المعتادة بل جلسنا صامتين بعض الوقت، أنا أنظر إليه مستفهمة عن حالته الغريبة وهو يحدق بالصندوق الذي دخلت به عليه وكدت أهوى بسببه، ثم باردته بالسؤال كأنني كنت أحاول أن أبعد

منحى الحديث عن الصندوق وقصته، كنت متعبة لدرجة أنني كنت على استعداد أن أكمل جلستي في صمت تام ولكني سألته: -صابر، ماذا بك؟؟-.
توجه إليّ مُطرقًا ثم قال: -منار. . أنا تائه، ثمة أمر جلل يحدث ولكني لا أستطيع التوصل إلى كنهه-.
وبدأ يروي لي عن زيارة أمه وما حدث فيها وعن شعوره وقتها. استمعت إليه بكل حواسي حتى إني نسيت الصندوق واليوم المُر الذي قضيته.
انتهى صابر من قصته ولم يكن قد أنزل عينيه من على الصندوق ثم سألني عنه فرويت له كل شيء وهو ناظر إليّ في تعجب وقد ألجمت دهشته من غرابة القصة لسانه، وعندما انتهيت فاجأني بقوله: -إذن الأمر متعلق بالأموات وزياراتهم!-. كان حانقًا على كل شيء وعلى كل شخص، على أبويه وعلى طارق، على المجتمع وعلى الذكريات. واسترسل:
- ما ذنبنا نحن فيما حدث لأحد غيرنا والله أعلم فيما كانوا متورطين وما هو الرابط الحقيقي الذي يربطنا ببعضنا البعض، ألم يختاروا حياتهم؟ لماذا يتدخلون في حياتنا بعد مماتهم ليقلبوها رأسًا على عقب، ما هذا الجبروت!
كان غاضبًا وقد نفرت عروق جبهته وازرق وجهه وأخذ يحرك يديه بعصبية، حتى إني توقعت وقتها أنه مستعد لارتكاب جريمة أيّا كانت بشاعتها.
أغضبني اتهامه لطارق ولكنني عذرته فأنا أيضا يأكلني هذا الشعور فبدلا من أن أتشاجر معه وجدتني أمسك بيديه وأربت عليهما وأنا أرجوه أن يهدأ، فبدأت ثورته تهدأ شيئًا فشيئًا عندما رآني أنظر إليه بارتباك وقد لاحظ من حولنا للمرة الثانية أن هناك أمرًا غير طبيعي يدور بيننا.
سألته ماذا نفعل الآن؟ أننتظر ميعاد اجتماعنا بهذا الغريب أم نفتح الصندوق الآن؟

تساءلت وأنا أدعو الله أن يؤجل تلك الخطوة فأنا لم أعد قادرة على تحمل المزيد، على الأقل ليس الآن، لا أنا ولا صابر على حال تجعلنا قادرين على تقبل ما بداخله مهما كان ذلك الشيء.

عاجلني برده:

- ليس الآن، لا أريد أن أفتح ذلك الشيء وأجد بداخله لغزًا أكبر. سننتظر الموعد لعل ذلك الشخص يمتلك مفاتيح تمُكننا من التوصل لشفرة هذه الدوامة التي دخلنا بها والله وحده يعلم إن كنا سنخرج منها أم لا.

تنهدت ارتياحًا وقلت له وأنا أدّعي الثبات:

- هذا أفضل، دعنا نتناول شيئًا فأنا لم أذق الطعام طوال اليوم.

نظر إليّ معتذرا عن انفعاله وأوضح أنه لم يكن يقصد إحراجي أو جرحي ولكنه فقد السيطرة على أعصابه فالأحداث سريعة جدا وتهدد نمط حياته الرتيب الذي اعتاده ولم يجد الوقت من قبل ليفكر إن كان راضيا عنه أم لا.

-ربما أخشى المغامرة- قالها وابتسم محاولا أن يخفف عني، واستطرد:

- لا يستطيع المرء أن يتنبأ إلى أي مدى قد ينجرف وتأخذه الحماسة تجاه شيء ما فيضيع في طريقه كل شيء عزيز عليه دون أن يعي وعندما يفيق يكون الوقت قد مضى دون رجعة، ربما هذا أكثر ما أخشاه، فلا أظنني يوما خشيت الموت أو الألم ولسخرية القدر ليس لديّ شيء عزيز سوى عملي. .

دعينا نتناول الطعام الآن فأنتِ تبدين هزيلة اليوم.

فأومأت رأسي بالإيجاب.

تناولنا الطعام في صمت، وفي رأس كل منا العديد من التساؤلات والأفكار وفي الفؤاد العديد من المشاعر المتضاربة.

ها أنا أجلس مع شخص غريب تعرفت عليه في ظروف غريبة وأسير معه

في طريق أغرب، أتحدث إليه بصورة شبه يومية، ولا أعلم حقيقة شعوري تجاهه. أنا -منار- التي طالما كانت تخشى الغرباء، تحسب المسافة التي تقترب بها من كل شخص، أتعامل الآن مع صابر وكأنني أعرفه من سنين ولم أقم مع نفسي هذا الحوار الصامت قبل الآن.

كل هذا لا يهم الآن، يبدو أن كل شيء كان مُعدًا مسبقًا، يبدو أن كل ذلك لم يكن بمحض الصدفة وأن هناك يد عُليا تحركنا جميعًا، تُرسل طارق من الموت إليّ، وتوظف والدة صابر رسولًا من عالم الأموات وتجعلنا ننتظر فتح الصندوق حتى يأتي شخص لا نعرفه. صحيح أننا لا نعلم ماذا يحدث تحديدًا ولكننا اتفقنا على المُضيِّ في هذه الرحلة إلى النهاية.

وهكذا أعلن اليوم انتهاءه وكنت أظنه لن ينتهى.

١٣ أغسطس

وصلت إلى أرض الوطن في صباح الثالث عشر من أغسطس وقد انتابني شعور بالاختناق والندم الشديد، لا أعلم تحديدا من ماذا وعلى ماذا، كل الذي أعلمه أنه كان متملكًا مني لدرجة أن نفسي سولت لي ألّا أترك المطار وأعود من حيث أتيت وكأن شيئًا لم يكن، ولكنني قاومتها وقررت أن أنتهي من الإجراءات وأبحث عن أيّ فندق أبيت فيه تلك الليلة لأنني لم أشعر برغبة في الذهاب إلى منزلي القديم وأضع نفسي تحت رحمة الذكريات لتنهش في حشاياي حتى أتآكل، بالإضافة إلى أني لم أُعلِم أمي بعودتي ولم أشأ أن تنهال عليّ بوابل من الاستجوابات لا ينتهى إلا بشجار -كالعادة-، خصوصا وأنني قد فقدت نصف وزني تقريبًا ولا أبدو معافى، فقررت أن أوفر على نفسي هذا العناء وأنزوي في أول غرفة شاغرة أجدها حتى اليوم التالي، فلم أمتلك الطاقة أو الرغبة في التسكع في شوارع المدينة، مجرد العودة يؤلمني. وبالفعل أخذت سيارة أجرة من أمام المطار وطلبت من السائق إيصالي إلى أقرب فندق، وقد كان.

ارتميت على الفراش بعد أن اغتسلت، ولم أجد في نفسي رغبة لتناول الطعام.

أغمضت عيني محاولا النوم، لكنه أبى أن يحن عليّ ولو بوقت قليل، وفجأة أخذت تهاجمني ومضات من حياتي القديمة وكأن هناك مؤامرة تدفعني دفعًا إلى النهوض، حاولت المقاومة دون جدوى وأخيرًا استسلمت لتلك الومضات فبدأت تترابط واكتملت الصور في ذهني فبدت حقيقية حتى إني كدت ألمسها.

هالة. . كم أفتقدك. .

كانت مثل الجميع في وطننا تخشى الناس أكثر من خشيتها الله. لا أقول أنها لا تخاف الله ولكنها ترتعب من نظرات الناس، من تهامسهم خلف ظهرها، تحسب كل حركة، كل نظرة، تخنق كل ضحكة صاخبة تريد أن تخرج من قلبها فتئدها لتصير ابتسامة صفراء لا نغم فيها ولا بهجة.

لا ألومها، فهذا المجتمع مسموم يخنق كل ماهو عفوي وجميل ليحيله إلى مؤامرة وشيء -بالتأكيد- دنيء ومنحط. أما أنا فكنت دومًا ومازلت -لا أكترث-، أريد أن أمسك يد من أحب، أصرخ معها، أغني أبكي كأننا وحدنا، أكره أن أتخيلنا دُميتين يشاهد الناس عرضهما ليسخروا منهما ويحركونهما كما يشاءون. ففي بلادي كل شيء مادام سرًا مقبول، وكل العلاقات لا بد أن تطالها التشوهات طالما قررت أن تكون صريحا. في بلادي من يكذب ينجو ويحيا مرتاح البال لأنه هرب من كرباج -العاهات والتقاليد-. في بلادي البطل الحقيقي من لا يكذب ويقع ضحية لأحكام الغير الذين ليسوا بملائكة بل بمقصرين.

ولكن هالة لم تكن وحدها، فكل من يحيطون بي مثلها، ينتقدون دوما عدم اكتراثي لأحد، طيشي كما يسمونه، عدم احترامي -للعادات- التي مازلت أتساءل عمن وضعها وقدرته الخارقة كي يجعلها متوارثة بلا مساس! ترى هل كان ساحرًا ما، أم أحد الجان العظام!

كم أحببتها. . أعلم أنها عشقتني حد الجنون، رغم أنها لم تكن تستطيع مجاراتي في -جنوني- إلا أنه كان يعجبها وإن لم تصرح بذلك، فقد كنت ألمَح لمعان عينيها والبسمة المسروقة على شفتيها حينما أجن أو يصيبني مسّي المعهود كما أسمته هي، وكانت تعلم جيدا أنني لست على ما يرام حينما أكون هادئًا مثل من حولنا، فكانت تعبس وينكمش وجهها مثل الأطفال

وتزم شفتيها. . إذن كانت تحبني كما أنا ولكن لم تجرؤ أن تُصرِّح بهذا أمام الجميع، لم تكن تمتلك الشجاعة المطلوبة وربما هذا سبب افتراقنا.
يومها ظللنا نتجادل حتى وصلنا حد الشجار.
اتهمتها بالجُبن والتمثيل، فكيف تحبني وتخشى الناس والأهل، واتهمتني بالأنانية وعدم تحمل المسئولية وكيف أحبها ولا أريد أن أتحمل قليلًا تحكمات أهلينا حتى نكون سويًا، كيف أريد أن يسير كل شيء حسب رغبتي وحريتي، كيف أحبها بصدق وأنا لا أفكر إلا في نفسي و-شطحاتي-.
لم أستطع رغم كل سنوات الحب أن أحمي نفسي وأحميها من تتابع سلسلة أحداث غير محمودة علينا إن خضعنا لهم مرة، لم تكن تدرك أنني إن تنازلت الآن وسمحت لهم بالتحكم في حياتنا وابتزازانا عاطفيا سأكون بيدي أصنع السجن الذي لن نخرج منه أبدًا وخاصةً أنها لم تمتلك الجرأة يومًا على الاعتراض، فقد رسم أهلها حياتها كما أرادوا وأول شيء فعلته وفق رغبتها هو أنها أحبتني.
كانت غضبتها عارمة بصورة غير متوقعة، أغلقت في وجهي جميع الأبواب بعد ذلك وضربت بكل محاولاتي للاتصال بها عرض الحائط، قالت لصديقتها أنها بمقدار ما أحبتني تكرهني، وأنا أتساءل كيف هذا؟! أيعقل أن تُغرَم بإنسان حد الغرق وتكرهه حد الموت فجأة! أهذا هو الجانب الآخر -للحب- ، أهذا هو الجنون الذي يصيب كل من أحب بكل جوارحه، أم إنه الخذلان، أم الخوف من أن تضعف أمامي إن أعطتني فرصة أخرى تستمع فيها إلى فلسفتي وتتأمل ملامحي في سكون وأنا أتحدث إليها مفسرًا ومبررًا، فتعود مرة أخرى رفيقة لدربي الذي أسير فيه متفاخرًا أتحدى الجميع فيزداد انقسام فؤادها وتزداد حيرة وإرهاقا. أكانت تحمي نفسها مني؟

أتساءل كثيرا إن كانت على حق وأنني من أخطأ التقدير، فأعود سريعًا أنفض هذه الفكرة من عقلي المزدحم لأستكمل حياتي العابثة ولكن بلا شعور حقيقي أستطيع وصفه. قد أكون أنانيًا بحق كما اتهمتني، نعم أظن ذلك فلقد عدت اليوم وترتكت خلفي -أيلا- التي طالما عاملتها كدُمية أتسلى بها حينما أشاء، لا أتحدث إليها إلا قليلًا، أدرت ظهري لها ورحلت فجأة، كم أنا بلا قلب! كم أنا جبان أنتقم من الجميع في -أيلا-.

اخترتها صهباء، نادرة الملامح كأنني كنت أبحث عن شخص ما لا يذكرني بهالة بأي صورة، كأنني كنت أبحث عن شيء صارخ يُشتت انتباهي عن الخنجر الزمردي المغروس في قلبي وعن وحشتي دون هالة. حينما أنهي جلستي الحميمية مع -أيلا- أدخن سيجارتي في صمت، أشاهد الدخان الخارج منها وكأنني أرى هالة تتمايل في دلال تناديني كي أنضم إليها في رقصتها الشاعرية الحالمة، أنسى المسكينة القابعة بجواري، تنظر إليّ في أسى من انكسر فؤاده وفاق على خنجر يطعنه به عاشقه الغادر، لا تحرك نظرها بعيدا آملة أن أنتبه إليها فأجدها في انتظار عودتي من عالمي السري الذي لا تعلم عنه شيئًا.

حين أنظر إليها أتذكر كلمات قالها لي أحد الأصدقاء عندما كنا في الجامعة وكان حينها يشعر بأسى شديد مما يفعله الناس ببعضهم البعض في هذا الزمان ويسمّونه ، عبثًا، حبًا. أتذكر ملامحه المنقبضة وهو يقول:

- لا تتمادى في استغلالك لطيبة وتسامح أحد ولا تراهن على صبره، ففي النهاية سينفذ وستصبح غير مرئي. حينها اعلم أنك فقدت مصداقيتك ومكانتك عنده حتى وإن أحبك.

تعلّم أن تفكر بغيرك فالحب ليس هذا القتل الصامت الذي تفعلونه

ببعضكم. الحب أكثر رُقيًّا. الحب حرية وتناغم لا يحتاج لكلمات.
لا تجعلوا أحبتكم يفعلون بأنفسهم ما لا يريده الله لهم، لا تجعلونهم يظلمون أنفسهم.
آه كم أنا قاس!
ظللت مُحدِقًا في سقف الغرفة كمن يُتابع فيلمًا مشوقًا فغرق في تفاصيله وانسلخ معه عن الواقع المحيط وما كنت أتابع سوى ذكرياتي التي أعلنت الحرب.
وقضيت الليلة الأولى على أرض الوطن محاولا استجداء النوم لكن دون جدوى، حتى بدأ النور يضيء الكون في خجل وبطء مُعلِنا بداية يوم جديد، فقررت النهوض والخروج لأتمشى قليلا وأفكر فيما سأقول لأمي حين تراني.
حين رأيت الشارع شعرت بالندم الشديد وأخذت أحدث نفسي قائلا، -ماذا تفعل؟ أجننت؟ لماذا عدت؟- وظللت أزفر في غيظ مني ومن صاحب الدعوة الغامض.
سِرت في الشوارع دون هدف ومع الوقت أخذت ثورة الغضب تهدأ بداخلي ووجدت قدماي تَسحران مني وتأخذاني إلى حيّنا، إلى أمي وحبيبتي الناقمة, وعندما أفقت من هذة الغفلة وجدتني أقف متسّمرًا عند رأس الشارع ودموعي تنهمر بحرقة من لم يبكِ يوما فقرر أخيرًا أن يطلق سراح عبرات سنوات عمره دفعة واحدة. ولا أعلم من مر بجانبي وكم شخص حدّق فيّ متعجبًا أو مستنكرًا، فقد كنت في زمانين في آن واحد، ولم أعد أشعر بالمكان ومن فيه من مارة وحيوانات شاردة.
لم أحاول أن أجفف وجهي أو أُحسِّن من مظهري بل وجدتني أعدو تجاه منزل هالة ولا أدري تحديدا ماذا أفعل ولا أعلم أين هي الآن. وقفت

أتساءل وعيني على نافذة غرفتها، هل تزوجت؟ ترى من هو، وهل هي سعيدة، ترى هل أنجبت أم شيء من هذا لم يحدث ومازالت تنتظرني. هل تتذكرني وتتعذب لفراقي أم إني صرت ذكرى؟

آه، ماذا تفعل يا يزيد؟!

فقررت أن أذهب إلى منزلنا الذي تبعده أربع بنايات عن منزل هالة، وفي الطريق أخذت أمسح وجهي بيدي كطفل انتهى للتو من نوبة بكاء حادة.

ها أنا ذا أفعلها.

قالها يزيد وقلبه يكاد يقفز من بين ضلوعه

طرقت الباب، كعادتي، فأنا لم أحب يومًا الأجراس بأصواتها الرنانة المستفزة، وإذا بصوت أمي خلف الباب وهي تتساءل:

- من الطارق؟ هل الكهرباء منقطعة يا عَليّ؟

ثم ينقطع صوتها فجأة وينفتح الباب لتجدني مبتسمًا.

- يزيد!! هل هذا حقًا أنت! ولدي العنيد عدو الأجراس؟!

وارتميت بحضنها وبكيت بحرقة فاقت وصلتي السابقة وأغلقت الباب خلفي تاركًا جراحي وجراح ضحاياي واختبأت بين ذراعي أمي.

ظلت أمي في ضمتها لي ودموعها تنهمر في صمت وكبرياء لا تنطق بكلمة ولا تريد أن تفلتني، لقد شعرت بغريزتها احتياجي لضمتها وتعطشي لها، فلم تسألني متى ولماذا جئت ولم تلمني على ما مضى، لم تنهمر عليّ بالأسئلة عن أحوالي وصحتي، كأنها تعرف كل الإجابات مُسَبقًا، أو أنها كانت تُرجِئ كل ذلك لوقت لاحق كي لا تضيع اللحظة أو حتى تستوعب ما يحدث.

ودخلت غرفتي القديمة وكانت نظيفة للغاية فنظرت لأمي متعجبًا وقرأت السؤال في عيني وابتسمت قائلة:

- لقد رأيتك في المنام.
استيقظت عصرًا، وتوجهت للفندق كي آخذ أغراضي وعدت إلى المنزل وخلال عودتي اختلست النظر إلى نافذة غرفة هالة ووجدت النور يتسلل من داخلها. حاولت أن أطرد من رأسي فكرة أن تكون هي من بالداخل وأقنعت نفسي أنها ربما أختها الصغرى أخذت غرفتها بعد زواجها أو شيء من هذا القبيل وأسرعت الخُطى تجاه المنزل.
وضَّبت أغراضي بنفسي كما تعودت دومًا، فقد كانت أمي تقول لي دائمًا: -الشيء الوحيد المُريح فيك أنك تعتمد على نفسك ولا تَقصم ظهري بطلباتك-. وخرجت لأجلس معها قليلًا وأحتسي معها الشاي، فبرغم أني تحولت إلى شخصٍ قاسٍ، فأمام أمي أنا مجرد طفل، وأخذت أتأملها وتتأملني وأخيرًا بدأ ما انتظرته. .
قالت أمي:
- لقد فقدت نصف وزنك، هل أنت مريض؟
- أنا بخير، فقط أجهدت نفسي كثيرًا بالعمل.
هزت كتفيها غير مصدقة وأكملت:
- لماذا لم تخبرني أنك عائد؟
- لم أكن أعلم أني قادم إلا فجأة
- ماذا تعني؟ هل ستسافر مجددا؟
وبكل برود أجبت: -نعم-، وأخذت أرتشف الشاي في هدوء متجاهلًا تحديق أمي فيّ، وهي حائرة لا تدري ماذا تقول، ولكن للحق كنت أرتجف من داخلي حتى إن صَدري بدأ يؤلمني ولم أستطع النظر في عينيها فآثرت ادعاء اللا مبالاة. .

وقلت محاولا تخفيف هذا التوتر:
- ما أحوالكم؟ كيف صحتك وعليّ، هل مستواه الدراسي جيد كما اعتاد أم يواجه الصعوبات فأنا أعلم كيف يكون من في عمره فقد كنت يومًا مثله.
وإذا هي تقاطعني في حدة:
- لم تكن أبدًا مثله!
ووقفت وأعطت لي ظهرها فلاحظت انحناءة خجلى قد أصابته وهمّت متجهة ناحية غرفتها ثم استدارت وقالت وهي مازالت في حِدتها:
- لقد سافرَت، تَركَت كل شيء ودفنت حزنها وسافرت وحدها وإلى اليوم لم تعد.
ولم تعط لي الفرصة كي أسألها إلى أين وماذا تفعل، فقد أجابت بكلماتها عن تساؤل ربما رأته في عيني أو توقعته، لا أدري ولكنها أربكتني كثيرا فوجدت نفسي بين ألم يعتصر قلبي وسعادة لأنها ربما مازالت وحيدة. هالة التي كانت مثل الطفلة الصغيرة لا تفعل شيئًا بدوني غادرت البلاد بأكملها وحدها؟!
تُرى هل كنت أقلل من شأنها أم إن غضبها العارم مني أعطاها القوة كي تُقدِم على شيء مثل هذا لم يخطر لها على بال قط، ترى هل تلعنني الآن أم تشعر بالامتنان لأنني السبب الذي دفعها نحو المغامرة التي طالما كانت تخشاها.
وبقيت هكذا بين فيضان من التساؤلات، الوحيدة التي تملك إجاباتها قد تكون في قارة أخرى.
ولم أستطع أن أقضي ليلتي في المنزل بين حنق أمي عايّ والطعنات الثلمة التي تتلذذ ذكرياتي في تعذيبي بها، فقررت أن أغادر المنزل لأتمشى قليلًا،

فاتجهت ناحية الباب لأغادر فإذا بي أواجه صورة أبي تُحدق فيّ بإصرارٍ وتحد كما جرت العادة وهو على قيد الحياة ونظرت إليها أتأملها كأنني أحاول أن أتذكر ملامحه، أحقا نسيت شكل أبي، أم إن محاولات هروبي طوال السنوات الماضية قد آتت أُكلُها. وبين تساؤل وآخر وجدت رأسي يعتصره الألم ففتحت الباب وأغلقته خلفي بغضب.

قضيت ليلتي أدور في شوارع المدينة بلا وجهة محددة أشاهد الأضواء الباهتة وأتأمل الوجوه العابسة والضحكات المبالغ فيها التي طالما آمنت أن أصحابها يحاولون إخفاء جرح كبير يعشش داخلهم خلفها ولكن هربًا من كماشة الأسئلة التي يحوِّطهم بها كل من يتعثرون بهم سواء كان أمرهم يعنيهم أم لا، يضحكون في هستيريا تكاد تتحول إلى صوت عويل مرير.

واستمرت ليلتي التي بدت بلا نهاية، حتى أعلنت المساجد موعد الفجر وبدلا من أن أذهب لأُصلِّي عُدت أدراجي إلى المنزل، وأنا أُحَدِّث نفسي:

- ليس الآن، من أخدع! سأنام وليحدث ما يحدث.

***

ما هذا البرود؟!!! ياإلهى أين أنا؟ أنا لا أرى شيئًا.

سأتجمد، ألسنا في أغسطس؟

قدماي تؤلماني، ماهذا! الأرض مثلجة وأنا عار!

أرى لوحًا يبدو كممر طيني مُسلط عليه نور خافت يتراقص كمن أسكرته الخمر فلم يعد يستطيع الوقوف ثابتًا للحظة.

إذن سأحاول المُضي تجاه هذا الضوء وأسير على هذا اللوح لأتخلص من الظلام الغارق فيه وربما أجد بعض الدفء.

جاهدت كثيرًا حتى أرفع قدمًا تلو الأخرى لأتحرك ببطء كاد يقتلني وجسدي

كله ينتفض!!
آه! ظللت أصرخ من الألم فكلما تقدمت خطوة ظهر لي سيف حاد من الثلج يطعنني عدة طعنات فينخر في عظامي ويخرج منها ببطء من يتلذذ بفعلته وأظل أصرخ وأرتعش وأجاهد حتى أتقدم شيئًا فشيئًا وتوقف الزمن أو هكذا بدا لي.
ولا أعرف متى وصلت عند بداية الممر الطيني فارتميت أرضا وأنا أئِنّ وأحاول أن أبكي لكن لم أستطع، حاولت الوقوف مرارا وفي كل مرة كنت أسقط وجراحي التي لم تنزف قطرة دم واحدة تقتلني.
وأخيرا تمكنت من الوقوف وأخذت أجرجر نفسي على الممر في اتجاه الضوء السكران، وما إن كدت أصل حتى وجدت أسفل الممر هوة هائلة حالكة الظلام لا أدري ماذا تخبئ ولكنني كنت غارقا في الفوضى ورغم أنني كنت أرى النهاية بوضوح أمامي، تابعت التقدم، وألقيت بنفسي في الهوة وامتصتني.
واستيقظت ألهث وأنا لا أعي شيئا مما يحدث، وشعرت بكل جسدي يؤلمني بل يقتلني ورأسي يكاد ينفجر، وأنا غارق في عرقي ورغم ذلك أشعر أنني على وشك التجُمد.
ولكنني ومنذ زمن، حمدت الله أن ذلك كان مجرد كابوس. نعم، مجرد كابوس.
فوقفت أنظر لوجهي في المرآة وذُعِرت من اصفراره ولون الدم الذي اجتاح عيني وقررت أن أستعدت كي أنطلق لأصل إلى الموعد المنشود، إلى لقاء الغرباء الغامض استجابة للقدر الذي يتلاعب بي.
إلى - Kava -

كافا KAVA

استيقظت منار بصعوبة بالغة على صراخ المنبه، فقد ظلت مستيقظة طوال الليل من شدة القلق مما سيقع في اليوم المنشود وغلبها النُعاس فقط قبل ساعة من ميعاد الاستيقاظ، ورغم الآلام الشديدة التي كانت تنخر في جسدها إلا أنها قاومتها وقررت أن تضع كل مخاوفها في قدح القهوة التي تعشقها، وخرجت إلى الشرفة آملة في إيجاد نسمة معطرة تملأ صدرها سكينة وراحة ولو مؤقتة.

أما صابر فنام ليلتها كما لم ينم من قبل، بخلاف منار، فقد كان مستريحا ًلاقتراب نهاية هذا الغموض ورفع الستار ليكشف كل شيء وأن الشخص المُبهَم سيظهر اليوم ولينهى الأمر.

هكذا ظن.

أما يزيد، فقد انطلق باكرا بعد الكابوس الذي أنهك قواه كأنه يهرب منه وظل يجول في الشوارع الخالية من كل شيء إلا القليل من الكلاب الضالة والقطط المريضة.

وصل يزيد إلى المقهى باكرا وظل يراقب الوضع من بعيد كأنه ينتظر إشارة ما، فبالرغم من أنه التاريخ المحدد إلا أنه لا يعلم في أي ساعة من المفترض أن يتم اللقاء، وعندما شعر بالملل دخل ليتناول الفطور ويرتشف قهوته عله يستعيد توازنه الذي أخلّ به ذلك الكابوس الرهيب.

بدأ صابر يومه هادئًا منتعشًا وأدار المذياع على صوت فيروز ودخل ليأخذ حمامًا باردا وخرج ليُعِد القهوة وهو يدندن معها -سألوني الناس عنك يا

حبيبي. . - بدا وكأنه يستعد لموعد غرامي ووقف أمام المرآة يتأنق في هدوء واسترخاء فهو في النهاية لا يعرف ما هي الساعة المنشودة تحديدا، وأخذ يحدث نفسه بأن هذا الكابوس سينتهي قريبا ليفسح المجال أمامه ليفوز بقلب منار، فقد جذبته من أول لقاء حينما كانت شاردة غير عابئة به. .

ارتدت منار ملابسها بصعوبة بالغة وأخذت تتحرك ببطؤ رهيب، حتى أنها بدت وكأنها جزء من مشاهد التصوير البطيء، فقد كان قلبها يرتعد ويُحدّثها بأن القصة لم تبدأ بعد وأن الصندوق الذي يشاركها وحدتها به الكثير ويحمل سر الأموات، وأخذت تتساءل هل هي حقا تريد أن تعرف ماذا يحدث؟ هل تريد أن تكون جزءا من كل هذا الغموض؟ ولماذا تستلم لرغبة طارق ورسائله الخفية في أحلامها التي تدفعها لتشترك في كل هذا رغما عنها؟ هل هو الفضول أم اليأس والاستسلام التام لرغبة الراحلين حنينا لهم؟ عشرات التساؤلات اجتاحت رأسها وأخذت تتصارع وتتزاحم حتى إن رأسها راح يؤلمها وكأن هناك من يطرق عليه بقسوة وللحظة كادت أن تَعدِل عن كل ذلك وكأن شيئا لم يكن وكأن الظرف والصندوق وصابر لم يكن لهم وجود من الأساس وأن كل ذلك من نسج خيالها وستتخلص منه في الحال، لكنها نظرت إلى ضيفها الخشبي وتنهدت في خيبة وتوجهت إليه لتحمله وتبدأ الرحلة.

تعمّد الجلوس بالقرب من مدخل المقهى ليراقب الوافدين كأنه سيتمكن من استشعار هوية ضيوفه إذا استطاع التقاط مشهد دخولهم. وأخذ يرتشف القهوة وعينيه مُسَمّرتين على الطريق وكأنه مُحنط لا تطرف عيناه ولا يعتدل في جلسته.

لا يدري كم من الوقت مر قبل أن يدخل ذلك الشاب الطويل الشاحب، دخل بخطى من يعرف المكان جيدا وقد تأكد من إصابة حدسه حينما

أسرع النادل في استقباله وحياه بحرارة: -صباح الخير يافندم، قهوتك؟-.
فرد الضيف: -بعد قليل، فأنا في انتظار بعض الضيوف-.
رد النادل: -الهانم على وصول؟-.
أجاب صابر: -نعم-.
وانصرف النادل.
لم يعبأ يزيد كثيرا بصابر خاصة بعد أن سأله النادل عن الـ-هانم- التي ينتظرها، فآخر ما يمكن أن يفكر فيه أن تتضمن هذه الأحجية امرأة.
وها هو يفشل في التعرف على ضيفه الأول.
وما هي إلا لحظات قليلة حتى دخلت امرأة يغلب على زيها اللون الأبيض، ذات بشرة بيضاء مَلساء حتى أنه تخيلها تمثال لإحدى آلهة الإغريق ولكنها كانت تحمل صندوقًا فبدا المشهد ملفتا أكثر من البياض الذي تتحلى به.
وقفت قليلا عند الباب وجالت ببصرها كأنها تبحث عن شخص ما، وعندما وقع بصرها على ذلك الطويل الشاحب توجهت ناحيته وعندما رآها قام مُسرعًا ليحمل عنها ذلك الصندوق.
لم يستطع يزيد أن يخفي إعجابه بها حتى أإنه لوهلة نسي سبب وجوده هناك، وظل يتابعها بعينيه حتى جلست. لاحظ أنها لم تحرك شفتيها بعد، فقط ظلت تنظر إلى الصندوق الذي وضعه رفيقها على الأرض بجانبه.
وسمعه ينادي على النادل ليحضر لهم -المعتاد-.
استعاد يزيد تركيزه وبدأ يشعر بالملل فهو غير معتاد على الانتظار، ورغم هذا الشعور إلا أن ذلك الثنائي الذي يجلس في مواجهته مباشرة بدا له عجيبا وأثار فضوله واستشعر أن هناك أمرًا مريبًا بينهم.
ظل المشهد ثابتا لفترة طويلة لا أحد يتكلم أو يتحرك، حتى افتتح صابر الحوار:

- ماذا بك، لماذا أنت صامتة هكذا؟
ردت منار: -ولماذا أنت مبتسم هكذا؟- قالتها منار بتهكم وأشاحت ببصرها بعيدا عنه.
حاول صابر أن يبدو هادئا لأنه يعلم حجم معاناتها وقال: -أحاول أن أبدو متفائلا- وابتسم في حنان.
فقالت له:
- آسفة يا صابر أنا لا أعرف كيف أكون متفائلة في ظل تلك الظروف، فأنا لم أنم وأشعر بتوتر شديد وأنت تبدو هادئا بشكل استفزازي.
فضحك صابر وقال لها مداعبا:
- ومنذ متى لم أبدُ هكذا، فأنا شخص بارد ولست هادئا فقط.
فرأى بُشرى ابتسامة تحاول أن تطل من بين شفتيها، فأكمل قائلا:
- كل شيء سيمُّر لا شيء يستمر إلى الأبد. .
فتنهدت وقالت:
- نعم، لا شيء يستمر. . ولكننا لم نتفق على ساعة محددة، فماذا نحن فاعلون؟ هل سنقضي اليوم كله هنا في انتظار الرجل الغامض، وكيف سنتعرف عليه. أم هو من سيتعرف علينا؟
احتدت نبرتها وبدت أكثر توترا واضطرابا.
حاول صابر تهدئتها فأمسك بيديها بين يديه وقال:
- اهدأي قليلا سينتهي كل شيء اليوم، أشعر بذلك.
فسكتت وطأطأت رأسها والدموع تهرب من عينيها، بدت لحظتها كطفله تفتقد أمها، وبدا هو كأب يحنو علي ابنته الصغيرة ويهدئ من روعها ويطمئنها بأن والدتها ستصل قريبا تحمل لها الألعاب المبهجة ولن تتأخر عليها أكثر من ذلك.

جلس يزيد يشاهد ذلك المشهد باهتمام كأنه عرض مسرحي مشوق، ولم يدرِ حتى تلك اللحظة لماذا شده هذا الثنائي حتى أنه كل فترة يُذكِّر نفسه بسبب مجيئه. وقرر أن يطلب المزيد من القهوة في انتظار أن تتدخل يد القدر لتكسر هذا الملل.

- إلى متى سنظل هكذا!

قالتها منار في يأس. .

رد صابر:

- لدي فكرة. .

وأخرج الظرف الأسود، الذي منذ فترة ليست ببعيدة غيَّر إيقاع حياته دون استئذان، ووضعه أمامه على المنضدة.

نظرت إليه منار بتفهم ثم شبكت ذراعيها وظل نظرها مُثبتًا على الظرف ووجهها تملأه قسمات الحنق والحزن. كم كرهت ذلك الظرف وتلك اللحظة التي أخلت بالقليل من التوازن المتبقي بداخلها. كم هي غاضبة على طارق، ألم يكفه أنه ظل غامضا طوال حياته وفي النهاية تركها وحدها غارقة في المزيد من الغموض! ظلت شاردة تتغير ملامح وجهها كلما تذكرت شيئا وصابر يُراقبها في صمت مُحترما مشاعرها واضطرابها.

أحضر النادل ليزيد قهوته فانتبه وقرر أن يختلس النظر مرة أخرى إلى ذلك الثنائي ولاحظ جمود المشهد فالشاب الوطواط ينظر إلى الإلهة الإغريقية في صمت وهي متسمرة تماما تنظر في اتجاه واحد لا ترمش عيناها، تنظر إلى ظرف أسود في أسى. . ظرف أسود! أليس هذا؟

نعم. . هو!

اضطرب يزيد وتسارعت دقات قلبه وهربت أنفاسه حتى إنه شعر أن صدره قد ضاق فجأة وأنه على وشك أن يلفظ أنفاسه، فبرغم انتظاره لتلك الحظة

إلا أن وقع المفاجأة شَلّ تفكيره وأرعبته فكرة وجود الضيوف المنتظرين أمامه طوال هذا الوقت بل ومراقبته لهم دون أن يشُك في أنهم قد يكونوا هم رفقاء هذا اللقاء. حاول أن يتمالك نفسه وقرر أن يكمل قهوته قبل أن يتوجه إلى المنضدة المجاورة، فآخر ما كان يريده أن يبدو مضطربا فهو في النهاية لا يعلم مَن هؤلاء ولماذا انصاع لأوامر غريب ورتب للقاء مع غريبين لسبب يجهله.

أخذ يرتشف قهوته في تباطؤ، محاولًا استعادة هدوئه، فآخر مرة شعر بالذعر كانت عند رحيله عن هالة. . آه أين أنت الآن. . ومع كل رشفة يتذكر نظرتها، ابتسامتها، عبوسها، يشم رائحة عطرها الحاني، يسمع صوتها وهي تحكي له عن يومها، وهي تبدي إعجابها بأناقته، وهي تتجادل معه، وهي تصرخ عليه وهي تبكي.

ذكرى هالة جعلته يهدأ قليلا ويتجاهل بعض التوتر الذي أصابه منذ قليل وسرح في ملامحها أكثر فكلما تعمق في ذكراها كلما ازداد هدوءا. أخذ يستعيد شريط ذكرياتهما بكل ما فيه من متناقضات، فحياتهما لم تكد تحُلّى بإبريق من بالعسل الذهبي حتى تُسكَب عليها شلالات الملح من كل اتجاه، وبرغم آلام الذكريات التي اعتصرت قلبه إلا أنه شعر بالراحة والطمأنينة، كأنه يقول لنفسه: -لمَ الذعر، وماذا سيحدث أسوأ من أن تفقد روحك؟-.

فقام من مجلسه وتوجه إلى المنضدة المقابلة ووقف أمام صابر ومنار قائلا:- ص وم؟-.

فنظرا إليه وهزا رأسيهما بالإيجاب دون أن ينطقا بكلمة، فسحب الكرسي الخالي وجلس ثم قال:

- يزيد. . يزيد راغب.

الفصل الثاني

هُم ونَحنُ

المنعطف

قررت اليوم ألا تأخذ المصعد ونزلت على الدرج، ومع كل خطوة لأسفل شعرت أيلا بشيء ما يهوي ويضيع منها وكأنها تتحلل مع كل درجة مستسلمة لإحساس التيه هذا حتى وصلت لبوابة المستشفى الذي تعمل فيه وتوقفت قليلا مترددة، شعرت فجأة بأن هناك حدثا ينتظرها إذا خطت خطوة أخرى وخرجت من هذا المكان، وسرح خيالها تماما في ذلك وبدأت تتساءل إن كانت على استعداد لمجابهة شيء جديد بمفردها، وكأن الأمر قد تأكد وكأنها شاهدت بالفعل ما ينتظرها.

تنفست بعمق وحاولت أن تستعيد تركيزها وتفيق من حالة الانفصال عن المحيط الخارجي تلك، وبالفعل توجهت نحو البوابة لتخطو أولى خطواتها متجهة إلى العالم الجديد الذي كان يستعد لاستضافتها منذ فترة. . .

كان اليوم شديد الحرارة حتى إنها كادت تختنق من فرط قيظه، وكأن هناك من يحاول إغراقها في حوض من الماء المغلي ليملأ رئتيها ببخاره كي تكتمل جوانب معانتها وتموت ببطء سَلقًا!

أخذت تسير بُخطى متباطئة، وكأن هناك من يجذبها لأسفل، تتصارع مع الهواء الساخن محاولة أن تُغافله مرة وتَستَرِق نفسًا مُريحًا. ظلت هكذا حتى وصلت إلى مقهى فقير في الحي الذي تقطن فيه، وطلبت شطيرة من الجبن المطبوخ والخَس، فهذا ما كانت تستطيع تحمل ثمنه في الوقت الحالي.

جلست تتناول شطيرتها دون أن تشعر حقا بمذاقها، فحالتها المُزرية وقفت حائلًا دون قدرتها على الاستمتاع حتى بما تأكل، وإذا بها في حالة الشرود الحِسّي تلك، جلس أمامها رجل أنيق في الثلاثين من عمره، أو هكذا بدا حينها وسألها:

- كيف حالك أيلا؟

تجمدت رغم القيظ ولم تتمكن من ابتلاع طعامها ونظرت إليه في ذهول. . واستتبع كلامه قائلا:

- تبدين في حالة مزرية، رغم أنك لا تستحقين ذلك فالتيجان صُنِعت لمن هم مثلك وصدقيني ليسوا بكثيرين. .

ومازالت أيلا متسمرة. . ومازال الرجل الأنيق الساحر يتحدث. .

- هيا اتركي هذه القذارة ورافقيني فأنت اليوم ضيفتي.

وبدون مقاومة وكأنها سُلِبَت الإدراك تماما قامت أيلا معه وقد أحاطت يده بخصرها الذي ازداد نحافة على نحافته منذ أن غادر يزيد وتركها للألم ينهش في تضاريسها.

قادها ذلك الفارس الخارج من أحد الأفلام القديمة بأناقته المبالغة إلى سيارة طويلة لم تتمكن عيناها من تصوير نهايتها نظرا لحالة الانفصال التي أصابتها، فتح لها الباب وساعدها على الركوب بعد أن وضع يده على رأسها خوفا من أن تؤذي نفسها ثم أغلق الباب وذهب إلى الناحية الأخرى كي يجلس بجانبها. أشار إلى السائق الذي كان يتابعهم بعينيه في المرآة، فانطلق السائق في هدوء ودون توجيه أي سؤال وكأن الأمر متفق عليه.

ظلت أيلا تراقب الطريق الذي بدا مجهولا بالنسبة إليها، فهي لم تكن قادرة على ربط هذه الأحداث أو إبداء أي تفاعل معها وكأن الشلل أصاب عقلها، ولكنها بعد فترة من مراقبة الطريق تأكد ظنها بأنه بالفعل طريق غريب

عليها تماما ولكنها لم تكن متأكدة إن كانوا قد غادروا تينيسي أم إنهم في جزء منها لم تكن تعلمه.

وكأن ذلك المجهول الذي يحركها كالدمية قرأ ما يدور في رأسها وقال:

- لا تقلقي حينما نصل ستشعرين براحة أكبر، ليس هناك ما يخيف، حاولي أن تستريحي فالطريق مازال طويلا.

ومن شدة إعيائها وعدم رغبتها في بذل مجهود أكثر بعد هذا اليوم العجيب، نفّذت ما طلبه منها كما فعلت من قبل وأسندت رأسها للخلف وغطت في سُبات عميق وتمنت ألا تستفيق منه، ولكن ليس كل ما نتمناه يُلبّى. . .

بكاء؟ يرتفع الصوت رويدا ثم يتحول إلى صراخ، اقتربت ببطء نحو الصوت ووجدت سرير طفل متروك وحيدا في تلك الغرفة الفارغة إلا من مصباح خافت الضوء يترنح ويرسم صور غريبة على الأرضية الخشبية، وما إن اقتربت حتى ابتعدت هلعا. ما هذا؟! هذه أنا؟ أمي أين أنت؟ أمي لم تركتيني وحدي؟ أين ذهبت؟

ثم انكمش حجمها وصارت في العاشرة، وإذا بالحائط يتهشم بسيارة زرقاء ضخمة وتبتلع السرير تاركةً ذات العشر سنوات.

وفجأة. عويل، غرباء يتحدثون، في بذلات رسمية وفساتين سوداء والطفلة تجول بينهم تنادي علَّ أحدا يسمعها ولكن لا أحد يستطيع رؤيتها، تحاول أن تمسك بأطراف ملابسهم وتجذبها علَّهم يشعرون بها ولكن هيهات.

ثم اختفى الجميع على حين غرة. . ووجدت نفسها وقد صارت شابة في العشرين تلهث من شدة الفزع والفراغ اللذين يحيطان بها، وإذا بخيوط سميكة تظهر من اللا شيء تُحيك بسرعة وحِرفية فائقة ِشباكًا تلفها تحاول الصراخ ولكنها لم تجد فائدة من ذلك، تحاول الهرب ولكن لا يوجد منفذ،

حتى التف جسدها بالكامل وأظلمت الدنيا وصارت في شرنقة فأغمضت عينيها واستسلمت. لا تدري كم من الوقت مر وهي على هذه الحال. وإذا بها تسمع أنفاسا غريبة، فحاولت كتم أنفاسها كي تتأكد أنها لا تتوهم ولكن تأكد ظنها.

وإذا بها تقترب وفجأة أُنيرت الدنيا من حولها، ووجدت نفسها داخل حقول قمح تبدو بلا نهاية وبلا حدود ويقف أمامها على مسافة بعيدة شاب نحيل.

- يزيد، أهذا أنت؟

فاستدار الشاب وانطلق من خلفه دخان كثيف واختفى.

أين أنا؟ ماهذه الغرفة؟ لماذا تملأ الإبر جسدي؟ لماذا أنا مكبلة من قدماي؟ ظلت تشاهد جسدها المُلقى على سرير معدني، يبدو بلا روح، فتحسست نفسها وإذا بيدها تغوص في جسدها كأن كلاهما تحول إلى سحاب ولم تستطع الشعور بشيء. وفجأة، انفتحت عين الجسد الميت واختفت هي، وفي ومضة وجدت نفسها ترتدي ثوبًا كالغانيات وسط عدد كبير من الأشخاص التي تتشابه ملامحهم بشدة، يتحركون كالآلات، وتضحك هي بصوت صاخب وبجانبها رجل شديد الأناقة يتحسسها في شهوة وهي مستسلمة له كليًا، تتناول مشروبا ما من الكأس التي ناولها إياها في تلذذ، ومع كل رشفة تبدو وكأنها تذهب بعيدا ثم تعود لتضحك في هيستريا بلا سبب واضح. وإذا بهذا الرجل يشير إلى الجميع بحركة لم تفهمها، فيسود الصمت ويتجهون جميعًا في حركة شبه آلية نحو مذبح!!

وإذا بجسد ممتلئ بالعلامات، التي قد وُشِمت فيه بعمق، ينزف سائلًا أسودا وقد اختلط بدمائه، مُلقى على المذبح، ينظر إلى أعلى بعيون صفراء

كالثعبان كأنه يتابع أمرًا ما. تقترب منه وهي تتمايل كمومس تحاول إغراء فريستها، وسكبت على رأسه ما بيدها من شراب، وفجأة نظر إليها وقد اختفت عيون الثعبان، وإذا به -يزيد- يرمُقها بنظرة استجداء.
حاول أن يفتح فمه ولكنه لم يستطع لقد التصقت شفته السفلى بالعليا، وفجأة تبخر كل شيء وتبقت هي من جديد وحدها في بئر تعُج بالخفافيش، يتساقط من أجنحتها حمم من اللهب ما إن تلامس جزء من جسدها حتى يتحول إلى معدن فضي، شيئا فشيئا حتى انتهى الأمر وانتهت أيلا. صارت تمثالًا معدنيا بلا حياة.

*****

البداية

ساد الصمت طويلا والثلاثة ينظرون في عيون بعضهم بنظرات غارقة في تساؤلاتها وظنونها، لا يعلم أيٌّ منهم من أين يبدأ الحديث وكيف يكسر حائط الصمت الرهيب الذي بُني بينهم في غفلة من الزمن. أخذ يزيد يتلفَّت يمينا ويسارا كمن يبحث عن مخرج من هذا الفخ الذي أوقع نفسه فيه، وإذا بعينيه تقع على النادل فأشار إليه بيده ليأتي، وسأله إن كانوا يقدمون المشروبات الروحية، فنظر صابر ومنار إلى بعضهما البعض في استنكار، ليس لأنه طلبها، ولكن لأن النهار مازال في أوله وقد عانى الجميع بما يكفي من التشتت ولا طاقة لهم بتحمل المزيد منه، ولكن لم ينبت أحدهما ببنت شفة وظلا صامتين.

أجاب النادل يزيد بالإيجاب فطلب منه أن يأتيه بالنبيذ الأبيض، وعاد يزيد موجهًا نظراته إليهما وسرعان ما استشعر بذكائه المعهود اتساع دائرة التوتر فقرر أن يخترقها قائلًا وعلى وجهه ابتسامة صفراء:

- آمل ألا يكون لديكما اعتراض، فهي عادة قديمة تساعدني على التركيز واليوم تحديدًا أحتاجه.

فهز الثنائي المصدوم رأسيهما بالسلب معلنين عدم اعتراضهما، مدركين تمام الإدراك أنه استطاع قراءة الحقيقة التي أنكراها.

استرسل يزيد وقد بدا أكثر هدوءا وارتياحا فرد فعلهما جعله يطمئن قليلا بأنهم من يخشونه لذا فلا داعي للقلق، على الأقل الآن.

- ماذا لدينا هنا؟ طبعا ليس هناك مجال للشك من أننا لا نعرف شيئا عن

بعضنا ويجب أن تعرفا أن ترتيب لقائنا هذا كان عن طريق جواب طلب مني مجهول فيه أن أرسله إلى عنوانيكما إن لم أتلقَ منه جوابا آخر خلال شهر من تاريخه. وكان ما كان ولا أعلم ماذا أفعل هنا.

بدا يزيد كالمايسترو الذي يقود فرقة كاملة، وبدا كلامه لحنا متناسقا وكأنه دور سينمائي قد تدرب كثيرا عليه، وأمامه يجلس كل من منار وصابر يستمعان له في اهتمام وشعر صابر بعدم الارتياح حينما شاهد وجه منار ونظراتها المتسمرة على يزيد وهو يراقص كلماته باحتراف.

فقرر صابر أن يقطع هذا العزف المنفرد وقال:

- أتريد أن تقنعنا بأنك أَرسَلت إلى شخصين لا تعرفهما برسالة لا تعلم عنها شيئًا ممتثلًا لأمر شخص لا تعرفه؟! ومن المفترض بنا تصديق هذا الهراء؟! أنبدو لك أخرقين لهذا الحد؟

نظرت منار لصابر قائلة:

- ماذا بك لماذا أنت غاضب هكذا وهل كل ماحدث معنا يحمل أي سِمة للمنطق؟! هل كل أحلامنا تبدو منطقية؟ و الصندوق، وزيارة والدتك، وكلماتها إليك! اهدأ قليلا حتى ننتهي من هذا الكابوس وتمالك أعصابك.

اندهش صابر من أسلوب منار الحازم معه، فهي لأول مرة تتحدث معه بهذه الطريقة الحادة وكأنها استمدت من يزيد طاقة خفية. فأذعن لأمرها وبدا كتلميذ خجلان بعد توبيخ معلمته له.

وتوجهت إلى يزيد متسائلة:

- جئت من أين؟

أجاب يزيد:

- أمريكا، عن أية أحلام تحدثين؟

- أمريكا! ومن أرسل لك كان يعلم أنك هناك!
- بالتأكيد/عن أية أحلام تتحدثين؟!
- أحلام تراودنا ولكنها تبدو حقيقية جدا، أتراودك أنت أيضا؟
- أليس هذا أمرا عاديا؟ فالكل يحلم والكل تبدو له أحلامه حقيقية.
قالها يزيد محاولا طمأنة نفسه.
- نعم، ولكنها رسائل حقيقية على الأقل بعد أن وجدت الصندوق.
- أي صندوق؟
قالها يزيد وعيناه تلمعان في فضول، لقد أثارت منار فضوله وحصلت على انتباهه.
- هذا ما سنتحدث معك عنه ولكن ليس اليوم فلديّ الكثير من الأعمال. سنتقابل غدا في التاسعة مساءً، أين تقطن الآن؟
توجس يزيد من منار خيفة وقرر ألا يُلقي إليها بالمعلومة التي تنشدها فقال: -سألقاكم هنا في التاسعة-.
فنظرت منار إلى صابر وقالت:
- فليكُن. . سأذهب الآن.
وقامت منار فقام معها صابر دون أن ينطق بكلمة واحد ولكنه رمق يزيد بنظرة شديدة الغضب وكأنه قرر أنه العدو الذي يجب أن يصب توتر الأيام الماضية وغضبه المكتوم إليه.
قال صابر لمنار:
- أنا لا أحبه.
ردت منار في اقتضاب:
- لا تفعل.

- ولكنه. . .

قاطعته منار:

- هو مثلُنا لا يفهم، فلا تختلق مشكلة جديدة فالتي نغرق فيها الآن تكفي, وتركته منار وسارت في اتجاه منزلها دون حتى أن تودعه. فقد كانت في أشد الاستياء، ولكنها أيضا شعرت بأنهم على الطريق الصحيح ولم تكن قادرة على احتمال المزيد من الاحتدام فما في رأسها يكفيها الآن.

****

الفقد

المكان شديد الهدوء، لا يقطع هدوءه إلا مقتطفات من نحيب مكتوم وكأن هناك من يتأوه ألمًا.

بدا الطريق إلى أعلى طويلًا ومظلمًا، وبدا عدد الدرجات لا نهائيا، كلما انتهى منها جزء، يُضاف آخر وكأن إله السراب يبني بأيدٍ خفية طبقات حتى تخور قواه ويبتلعه الظلام.

واستمر في الصعود، وكلما ارتفع بات الصوت أكثر وضوحًا وأدرك أنه لم يكن تأوها بل عويلا. كان مصدره شقتهم والصوت لم يكن واحدا بل فرقة كاملة من المنتحبين كمدا.

من كل هؤلاء؟ ولماذا هم هنا؟ وعلام ينتحبون؟ أخذ يبحث بين الأجساد المتشحة بالسواد كسرب من الغربان تبكي على ضياع غنيمتها على هيئة يعرفها، العيون تتوجه إليه، ترقبه في قلق وهو عاجز عن تمييز أي من أصحابها، وأخيرا وجد أخاه مُلقى على الأرض أمام غرفة أمه متقوقعًا داخل نفسه وكأنه عاد جنينًا من جديد وأمامه امرأة يعرفها حق المعرفة، هي المرأة التي لا يتذكر إن كان يحبها أم يكرهها، لم يتمكن من ترجمة شعوره حينما التقت الأعين، عيناها المترقرقة بالدموع وعيناه الزائغتان، الحائرتان.

اتجه إلى أخيه وجلس بجانبه يسأله عما يحدث، ومن كل هؤلاء، ولماذا يبكي هكذا.

كان يزيد متوقعًا الإجابة لكنه لم يرغب في التسليم بها، رفع أخوه رأسه بمعاناة كبيرة، نظر إليه ثم إلى باب الغرفة الملقى أمامها ولأول مرة انتفض

جسد يزيد وشعر بالثلج يسري في عروقه ببطء فيحيلها إلى زجاج يوخزه كخناجر تُقَطِّعه من الداخل فوقف فجأة وفتح باب الغرفة بعصبية وتجمد مكانه.

ظلت مقلتاه مسمرتين على الجسد المُسجى أمامه ولم تقوَ قدماه على حمله أكثر من ذلك، فارتمى أرضا ونكس رأسه بعينين جاحظتين وغاص بهما مخترقا طبقات الأرض عله يجد مأوى من إعصار الألم هذا الذي اجتاحه دون سابق إنذار.

استند بيد على الأرض وباليد الأخرى ظل ممسكًا برأسه التي فقد السيطرة عليها عندما وصل البرد القارس إليها فأثقلها وزاد من قوة الجاذبية بينها وبين الأرض.

توجه بطيء الخُطى، مدمي الفؤاد، منهمر العبرات إلى جسد الحبيبة الساكن، ظل يدور حول سريرها متأملًا إياها محاولا استيعاب الموقف وأخذ يحدث نفسه ليقنعها بأنها فقط نائمة وتأمل وجهها فرآه جميلا رائقا وكأنها تستمتع بحلم جميل.

اقترب منها بحذر. لا يعلم مما كان يخشى، أيخشى من الواقع أن يلطمه فيهتز ويضيع؟ أم كان يخشى من غضبها عليه.

بدأ يحدثها هامسا

- أمي؟

فلا تجيب. . فيرتفع صوته قليلا: أمي، أجيبيني، استيقظي. . .

لا تجيب. . فيمسك بها ويهزها بعصبية ثم يصرخ وأيضا لا تجيب.

فاستسلم أخيرًا للصفعة التي وجهت إليه، وجلس بجانبها يبكي ويتأمل وجهها الحاني البريء الذي لم يتغير نقاؤه رغم نوائب الدهر ورغم الجفاء

والوحدة.

-من قال إن المحتضر يحتاج إلى من يكون بجانبه لحظة انتقال نفسه إلى البعد الآخر؟ من قال إن وجودنا بجانبه لحظتها من أجله؟ إنه من أجلنا نحن، من أجل أن نرى وجهه للمرة الأخيرة، من أجل أن نشعر أنه مازال بجانبنا وأننا لم نُهجَر، إنها من أجل أن نظل مُصدّقين أنه نائم وسيستيقظ بعد قليل فنرى عينيه ينظران إلينا كالمعتاد. لكي لا نشعر بالذنب وأن نظل مصدقين أننا لم نقصر يومًا في حقه وأننا لم نكن يومًا سببًا في ألمه.

إنه من أجلنا نحن، فهو في النهاية سيخوض تجربة مفارقة جسده وحده، في بعد لا نراه ولا نشعر به ولا نملك أن نُقدم له شيئًا حقيقيًا فيه-.

حتى وهم يحتضرون، نفكر في أنفسنا. نحن من نشعر بالفقد وليس هم، نحن من نشعر بالوحشة وليس هم، نحن من يستمد أمانه وراحته من أمواتنا. نحن الضعفاء المفقودون، نحن التائهون البؤساء، نحن في دار الباطل نحن من يستحق الشفقة والملاذ.

سمع طرقات على الباب وكأنه استفاق من حلم طويل، فقد كان منفصلا عن المكان والزمان الذي يتواجد فيه الجميع، فنظر إلى الباب ولم يجب، وإذا بالطارق المرأة التي كانت تنظر إليه في الخارج منذ قليل أو كثير لا يعلم، فما يحدث أقوى من احتماله وأفقده سلامة الإدراك والتمييز. حدثته بكلام لم يفهمه ووضعت يدها على كتفه لينهض وفهم أنها تريد منه الخروج من الغرفة وقالت شيئًا عن تمالك النفس لم يسمعه كله.

مر اليوم يظله السواد مزدحمًا بالبكاء وكلمات عن الصبر والإيمان. وخرس البيت يأكله والثلج مازال يسري ويحطم عروقه فيغمض عينيه ويتلذذ بالألم الذي ينهش فيه ويبتسم ابتسامة الحسرة وينهمر الخيط الشفاف الساخن من عينيه فيغمضهما ويستسلم للعذاب البطيء، فهو أقل ما يستحق.

أثار اختفاء يزيد قلق صابر ومنار وزاد من اضطرابهما جهلهما التام بأي معلومة قد تقود إليه وتجاهله لسؤال منار السابق عن مكان إقامته، وبدأت تشعر أن صابر كان مُحقًا في تخوفه من شخص يزيد المريب وطريقة ظهوره التي لا تقل ريبة، ولكنها آثرت عدم إفشاء الأمر حتى لا يشعر بالانتصار عليها وحتى لا يتهمها بالسطحية وقصر النظر، فبالرغم من أنه مر عليهما بعض الوقت منذ أن تعارفا إلا أنها لم تعد تستطيع الوثوق في أي كائن على وجه البسيطة مادام هذا الكابوس مستمرا ومادامت الخيوط تزداد تعقيدا والتفافا.

اتفقا على أن يذهب صابر كل يوم في التاسعة إلى مقهى الغرباء ويظل هناك حتى العاشرة ربما يظهر يزيد. واستمر الحال على ذلك لمدة قاربت الشهر.

وفي أحد تلك الأيام وصابر في طريقه إلى الخروج اصطدم بشخص قادم شديد النحافة، رث الثياب، ذي لحية طويلة غير مشذبة، منكس الرأس.

لم يلتفت إليه ذلك الغريب بل بدا وكأنه لم يشعر بالاصطدام رغم قوته وأكمل طريقه، نظر إليه صابر محاولا تذكر أين رأي ذاك الوجه فإذا به يُصعَق من هول الحقيقة.

عاد أدراجه وتوجه إلى ذلك البائس.

- يزيد! أهذا أنت؟

فنظر يزيد إليه بعينين زائغتين، مترقرقتين بدمع حبيس وهز إليه رأسه بالإيجاب.

لم يعلم صابر كيفية التصرف معه، فهو يبدو قادمًا من الماضي حينما كانت البدائية هي نمط الحياة وصابر وكلماته أشياء غير مفهومة، وظل حائرا

لدقائق حتى قرر أن يتصل بمنار مستنجدا وبالفعل أجابته منار عليه ودعته هو ويزيد إلى منزلها دون تردد.
وبالفعل أخذ بيد يزيد الذي قام معه مستسلما وتوجها إلى منزلها.
لم تعد الأمور والاستنتاجات السابقة كما كانت، كل شيء انقلب رأسًا على عقب، الافتراض لم يكن صحيحا مع الجهل التام بالجوانب الخفية لتلك القصة غير المنطقية، وما هو المنطق وسط واقع أقرب إلى ما وراء الطبيعة والظواهر الخارقة للعادة، بل وماهى العادة ومن أقرَّ بها وهل كان يعلم حقيقة الواقع وهل أدرك جيدا كينونته فامتلك القدرة على تمييز ماهو منه وما هو دخيل عليه، محطمًا لقواعده المحافظة على اتزانه، أم إنه اختار ما يريحه فأعلن فرمانًا بوجوب الالتزام به وإلا سينفجر كل شيء وستبتلع الجاذبية الكون بمن عليه؟

****

استيقظت أيلا ولم تتمكن من تحديد موقعها، شعرت بالارتباك أكثر حينما عجزت عن التأكد من هويتها وباغتتها ومضات متلاحقة آلمتها بقسوة حتى إنها استفرغت محتويات معدتها الخاوية ورفعت رأسها محاولة أن تستفهم عما يدور، فهي لم تعد متأكدة إن كانت على قيد الحياة أم فارقتها إلى مكان أكثر وحشة. أخذت الأسئلة تتزاحم داخل رأسها الصغير عما إذا كان هذا هو الجحيم، ولكن المكان شديد البرودة ولا يوجد غيرها وأخذت تلح عليها كلمات لا تتذكر من أين لها بها ولكنها غاصت معها وراحت في إغماءة تصحبها خلالها ومضات من ذكريات أو هلوسات عجزت عن التفرقة بينها كما عجزت عن السيطرة عليها.
لقد صارت فتاة غضة الجسد داخل فستان أحمر بالكاد يسترها تتمايل

كالثعبان، شبه نائمة، تترنح على صدور رجال لم تستطع تمييزهم، وخلف ظهورهم ثقب أسود ضخم القطر يكاد يبتلع تلك الصورة الخرساء. وراحت تردد -أنا ملكك-، -أفعالي من أجلك-، -أنا خادمتك-.

واقفة هي على حافة جسر رفيع متآكل الحواف، محاطة بالسواد كأنها معلقة في الفضاء. حاولت أن تنظر خلفها ولكنها لم تر طريقا تسير عليه، وأخذ الجسر خلفها في الاختفاء يبتلعه الظلام في نهم، ولم يعد لديها ختيار سوى النظر إلى أسفل، فمنذ البداية وحدسها ينبئها بأنها لا ترغب في رؤيته ولكنه هو السبيل المتبقي، وخفضت رأسها في تؤدة وتربص وإذا بدماء تتناثر بغزارة، ترتفع لأعلى وتتطاير في الفضاء. دققت النظر لترى مصدرها وحاولت أن تستمع إلى ما يدور في الأسفل، وإذا بأصوات متأوهة وصرخات تعلو تارة وتهدأ أخرى. وفجأة ظهر خلفها الفارس الذي لم تعد تتذكر متى رأته من قبل ولكنها متأكدة من معرفتها به. تتخشب أواصرها حين وضع كفيه حول خصرها وقرب فمه من أذنها وقال بصوت أجش: -اقفزي بين أحضان محررك-.

فإذا بها تقفز دون تردد لتحتضنها الدماء والصرخات فتهبط في الحال ونظرها معلق على الدماء المتطايرة، وبدلًا من أن تتحرر هي، تحررت الدماء وغاصت هي والتهمها الأسر.

-أنا ملكك، أفعالي من أجلك، أنا خادمتك-.

****

استيقظ يزيد أخيرًا ليجد نفسه على أريكة وثيرة وجسده يغوص أسفل العديد من الأغطية وداعبت أنفه رائحة المخبوزات اللذيذة ممزوجة برائحة القهوة، ففرك عينيه في كسل وأخذ يتمغط في استمتاع وكأنه نام

دهرا، وما إن همَّ في الاعتدال حتى أقبلت منار عليه وخلفها صابر يحملان صوان القهوة والفطائر. نظر إليهما في خجل وظل يبحث عن كلمات الاعتذار والشكر ولكن تركيزه الضئيل في تلك اللحظة لم يسعفه ولم يجد إلا أن ينظر إلى وجه منار في امتنان ولمح على شفتيها شبح ابتسامة، أما صابر فقد كان شديد العبوس ويبدو على ملامحه التوتر والضيق الشديد مما زاد من تحرجه منهما، ولكن منار قطعت كل هذه الأفكار وكأنها التقطتها من رأسه وقالت في عذوبة بالغة:

-صباح الخير، يبدو أنك لم تنم دهرًا-.

فرد يزيد في ارتباك:

-نعم، شكرا لكما، يبدو أنني سببت لكما المزيد من الإزعاج-.

وهمَّ صابر ليقول شيئًا عندما سارعته منار بقولها:

-لا تقل هذا فنحن جميعًا على متن تلك السفينة المحترقة، هيا تناول فطورك ففطائري لا تحب من يهملها-. قالت كلماتها الأخيرة وهي تمد يدها إليه بطبقه وتبتسم في حنو كان في أمسّ الحاجة إليه.

استدارت منار نحو صابر الذي مازال واقفًا خلفها وفي يده صينية القهوة، ورمقته في حزم وهي تقول:

- اجلس يا صابر دعنا نتناول الفطور سويًا حتى نتمكن من التحدث.

وأشارت له ليجلس على أحد المقعدين المقابلين للأريكة التي يجلس يزيد عليها ممدا، وانصاع لأوامر السيدة الحسناء وجلست بدورها على المقعد الآخر وهي توجه الحديث إلى يزيد:

- أخذ صابر اليوم عطلة حتى نتمكن من استجماع أفكارنا والتعرف أكثر على بعضنا البعض.

فهز يزيد رأسه في تفهم وأطرق الجميع يتناولون الفطور في صمت وقد صنع كل منهم قوقعته الخاصة وداخل رأس كل واحد مئات الاستفسارات والهواجس.

- ماتت أمي. .

تسمرا مكانهما، وشعرت بجفاف حلقه وبمرارة تجتاحه، أما صابر فقد توقف عن شرب القهوة وظلت يده معلقه ممسكة بالقدح وعيناه على وجه يزيد العابس.

استطرد يزيد:

- لم تتسنَ لي رؤيتها للمرة الأخيرة فقد سافرت سابقًا وهي غاضبة ورحلت دون أن أعتذر منها، هذه هي موتتي الثانية ولا أدري ماذا تبقى مني لأُكمِل الطريق إلى نهايته.

اغرورقت عيناها ومالبثت أن أجهشت بالبكاء، فهي تعلم جيدًا عما يتحدث، فهي بدورها قد ماتت من قبل.

ودون أن تشعر قالت بصوت مسموع:

- مُت لتحيا.

فانتبهت مرتبكة إلى عيونهما المتعلقة بها في تعجب، فتنحنحت وقالت:

- هكذا اعتاد أن يقول طارق، مُت في الحب، تحيا للأبد، أعتقد أنها إحدى مقولات المتصوفة، ولكنني لا أدري فيم نموت نحن.

أغرورقت عينا يزيد بالدموع التي امتزجت مع لون عينيه العسلي فأضفت بريقًا مشربًا بخيبة أمل، ووضع وجهه بين كفيه وانتحب.

****

تلك هي الرسالة

-ثلوج تغطي صحراء لوط بشرق إيران-.
-ثلوج في منطقة تبوك شمال غرب الشعودية شتاء٢٠٠٧/،٢٠٠٨ وسفينة الصحراء تنفق-.
-أسراب من الجراد الأحمر تجتاح مصر، شمال أفريقيا، شمال البحر الأحمر وجنوب شرق آسيا في سابقة من نوعها حيث تغير المسار الطبيعي للجراد-.

-إعصار ‹جونو› يضرب مسقط رغم انخفاض سرعته بعد اجتيازه بحر العرب-.
-جفاف في كوريا الشمالية لإخضاعها-.

-موافقة غالبية الدول، ماعدا البعض منها، على التوقيع على اتفاقية ‹مؤتمر الأرض الأول› الذي انعقد في ريو دي جانيرو بالبرازيل عام ،١٩٩٢ بحجة أن لا طائل لهم بتحمل تلك المبالغ الهائلة-.

-أمريكا تقترح مشروعًا -كوكبيًا، على نفقتها الخاصة بتكلفة ١ مليار دولار سنويا لمدة خمسين عامًا بداية من عام ،٢٠٠٠ بُناء على براءة اختراع أمريكية-.

-الموافقة على مشروع درع أمريكي يستخدم الهندسة المناخية من قِبَل المجتمع الدولى بنِيّة مقاومة ‹الاحتباس الحراري› في الوقت الذي تملصت فيه من اتفاقية -كيوتو- للحد من انبعاث الغازات الضارة والذي بدوره يسهم في مشكلة الاحتباس الحراري-.

-٢٠٠٥/٩/٢٣ اسرائيل توافق على التفتيش على مفاعلاتها النووية ماعدا مفاعل (ديمونة)-.

-٢٠٠٥/٩/٢٤ إخلاء منطقة الشرق الأوسط من أسلحة الدمار الشامل-.

-اختارت لجنة جائزة نوبل النرويجية الوكالة الدولية للطاقة الذرية ومديرها العام محمد البرادعي ليكونا الفائزين بجائزة نوبل للسلام لسنة ٢٠٠٥ تكريمًا لهما على جهودهما الرامية إلى الحيلولة دون استخدام الطاقة الذرية للأغراض العسكرية، وضمان استخدام الطاقة الذرية للأغراض السلمية بأكثر السبل المأمونة الممكنة-.

-موجات الحر القاتلة تهدد منطقة البحر المتوسط، وتودي بحياة ١٨ ألف شخص في عام ٢٠٠٣-.

-(مرض الخليج) كما أطلقت عليه وزارتا الدفاع والصحة الأمريكية عقب حرب الخليج فوق العراق عام ،١٩٩١ والذي كشف سببه الدكتور -جارث نيكلسون- فيما بعد بأنه نتيجة تحيمل أبخرة الطائرات بالسلالة النشطة

من الميكروب المهندس وراثيا - mycoplasma fermentans incognitus

-منظمة الصحة العالمية تحذر: أربعين مليون نسمة ستموت سنويًا بسبب أعراض ‹المشروع› ومركز مكافحة الأمراض يصحح: بلستين مليونا-

-بوش: يجب أن ينخفض سكان العالم إلى ٢ مليار نسمة خلال ال٥٠ عاما القادمة-.

والبقية بكم تأتي

قرأ يزيد هذه السطور وأعاد قراءتها مرارا وتكرارا ورأسه يكاد ينفجر وظل يبحث كالمجنون عن أي شيء آخر داخل الصندوق ولكن بلا جدوى وازدادت عصبيته وظل يصرخ ويلعن الصندوق وصاحبه وهذه المسرحية السخيفة التي أقحم نفسه فيها وكان في غنى عن كل هذا الهراء.
لم يعبأ صابر بيزيد وأخذ يلملم الأوراق التي بعثرها على الأرض واختار مقعدًا وثيرًا، وجلس عليه في هدوء شديد وأخذ يقرأ السطور السالفة من جديد ومنار مشدوهة من هذا المشهد الهزلي مشتتة بين الثور الهائج والساكن غير العابئ. ظل المشهد هكذا فترة حتى هدأ يزيد وانكب على نفسه قابعًا بجانب صندوق الأحاجي ذاك، ونطق صابر قائلا: -لنبدأ-.
أمام نظرة منار المتعجبة ونظرة يزيد الغائرة، استكمل:
- هذه ليست لعبة، أظن أننا أمام كارثة وأن هذه الأخبار بينهما رابط ما وهو -المشروع-، مهمتنا الآن أن نكتشف حقيقة هذا المشروع لنربط هذه

الأحداث معا ثم. . . .
قاطعه يزيد قائلا:
- ثم ما علاقتنا بكل ذلك وما علاقة طارق أيضًا؟!
قالها وقد توجه ببصره نحو منار في تساؤل يائس.
- إذن فلنبدأ. .
قالتها منار وهي متوجهة إلى غرفتها ثم ظهرت بعدها وفي يدها جهاز الكمبيوتر الخاص بطارق. فأومأ صابر موافقة وهمّ يزيد بالنهوض، قائلا:
-فليكن-. .
مرت ساعتان ولم يتمكن أي منهم من التوصل إلى كلمة السر وبدأ ثلاثتهم في التأفف والتذمر وتبادل النظرات الساخطة الماحقة، فقرروا أن يؤجلوا المحاولة للغد بينما يحاول كل منهم التفكير فيها علَّ أحدهم يهتدي ويفتح صندوق صاحب اللغز.

****

الفصل الثالث

وجدتُها

بدت مختلفة كثيرًا عما عهدها، شعرها يكاد يضيء وكأن هناك من سكب عليه صبغته بلا حساب، وبشرتها لامعة، جامدة، وخالية من أي تعبير.

اقترب منها في حذر يشوبه ذلك الشعور باقتراب حدوث شيء مكروه، حاول لمسها ولكنه بمجرد أن مد ذراعه اندفع بقوة هائلة طرحته أرضًا على مسافة بعيدة للغاية حتى بدت له مجرد خيال وشعر بكهرباء تجتاح جسده وظل ينتفض يغالب آلامه ويفرك عينيه محاولا رؤيه هذا الخيال بوضوح أكبر وعندما استطاع الوقوف على قدميه وجد نفسه يقف خارج فقاعة تخرج منها ذبذبات قوية يرتجف لها بدنه وفي داخل الفقعة تقف كما هي جامدة، ثم نظرت إليه في غضب وتسمرت عيناه وغاصت في عينيها الصفراوتين ثم فجأة نظرت إلى أسفل حيث توجد اسطوانة فضية لامعة تدور بسرعة ثابتة، حاول ولكنه بمجرد أن تقدم خطوة اندفع ثانية بقوة وسمع صرير يجتاح رأسه وظل يصرخ ويستنجد حتى وجد نفسه على الأرض بجانب سرير أمه.

كانت أيلا تسيطر على تفكيره بشكل أثار تعجبه، فمنذ متى أبدى اهتماما بوجودها أو لاحظ غيابها، ولماذا زارته في نومه وما معنى هذا الحلم المُريب.

حاول أن ينفض عن رأسه تلك النظرة الجامدة ولكنه لم يستطع وكأنها فيروس أصابه وتمكن منه وأعجبه هذا الجسد البالي فقرر أن يعشش فيه كما العنكبوت.

قضى يومه على سرير أمه ورأسه مزدحم بومضات من أفكار متضاربة ومتنافرة، أخذ يفكر في أمه، وهالة، منار وصابر، الصندوق، أيلا، كلمة السر،

المشروع.
نعم، وجدتها، المشروع قد تكون كلمة السر هي اسم ذلك المشروع، ولكن ما اسمه يا ترى. -يجب أن اقرأ هذة الأوراق مرة أخرى، أشعر أنها تحتوى على الإجابة-. انتفض من مكانه وارتدى ملابسه على عجل وركض هابطا الدرج وكأنه إذا أبطأ سينسى الفكرة التي راودته فقرر أن يمسك عليها ويسرع قبل أن تتبخر وتتركه حائرا من جديد.
اتجه إلى منزل منار حيث كانوا مجتمعين بالأمس ولكن لم يجب عليه أحد، فشعر بخيبة أمل كبيرة خاصة وهو يجهل مقر عملها أو مقر عمل صابر وماذا يعملان من الأساس، فقد كان كل منهم متوجسا من الآخر فتجنب السؤال حتى لا يُسأل بدوره.
ظل يدور في الشوارع محاولا القبض على أفكاره المتناثرة واستجماع قواه ولم يجد بُدا من كل ذلك فقرر العودة إلى المنزل ليستحم ويحلق ذقنه المشعثة التي زادت من مظهره ريبة ونفور.
أمضت منار نهارًا مزدحمًا، وحاولت قدر الإمكان أن تُغرق نفسها في العمل حتى لا تفكر في الأحداث المتلاحقة التي اجتاحت حياتها فجأة، بدايه من موت طارق الغامض حتى ليلة أمس. وكلما تتذكر تعمل أكثر وتحدث العملاء بنفسها وتقوم بنفسها لتشرف على العمل وهو الأمر الذي لم يعتد عليه المصممون لديها فقد كانوا دوما يتمتعون بحرية في إبداعاتهم وتصاميمهم التي كانت تُعرض فقط في المرحلة قبل الأخيرة عليها لتبدي ملحوظاتها وتوجيهاتها بالتعديلات المرجوّة.
وعلى الجانب الآخر لم يستطع صابر التركيز وشعر بكسل شديد وآلام تجتاح جميع أجزاء جسده وكانه قد بات ليلته في عراك واشتباك، وبالفعل ترك

العمل باكرا ولم ينظر في أي من أوراق المشروعات الموضوعة أمامه، فقد كان يشغله أمر مشروع مجهول يبدو أنه السبب في الانقلاب الذي ألم بنمط حياته الرتيب.

توجه إلى منار وتعجب من انهماكها الشديد في العمل وشعر بالاستياء من قدرتها على القيام بكل هذا وعجزه عن مجرد التركيز في أي شيء غير ما يحدث.

أما منار فعندما رأته، حاولت أن تُدخِل إلى رئتيها بعض الهواء في تباطؤ ملحوظ جعله يشعر أنه غير مرحب به، والحقيقة أنها رغم محاولاتها المستميتة في نفض أي فكرة تحاول أن تطرق باب عقلها بخصوص هذا الأمر، ظهوره أمامها جعل من ذلك شيئا أكثر من مستحيل، كيف تتجاهل الأمر وأمامها أحد أبطال هذه الأحجِية.

فتحت له باب مكتبها دون أن يتبادلا حتى كلمات التحية المعتادة، ودخل بدوره في صمت وجلس على كرسي خشبي وضع أمام مكتبها وأغلقت خلفه الباب، وبينما هو يجلس منتظرا إياها، أخذ يحتسي الشراب الذي أحضره له الفراش ولم يستطع تمييز أي نوع من العصائر يكون. جلس متأملا ساعة الحائط بعقاربها التي تكاد لا تتحرك أو هكذا بدت له، وشعر أنها أن تسخر منه، وتراءت له أشخاصا تعلم جيدا أنه في انتظار شيء ما وأنه لا يقوى على الانتظار وفي استطاعتهم أن يُعَجلِّوا له بالأمر ولكن نكاية فيه يتباطأون.

دخلت عليه ولم تتوجه ببصرها نحوه، جلست على مقعدها الوثير وغاصت فيه وسافرت ببصرها نحو السماء التي يطل عليها شباك مكتبها الزجاجي الضخم وصابر ينظر إليها متعجبا ينتظر أن تقول شيئا، أي شيء، وأخيرا. .

- جاءني طارق بالأمس وقال لي: -السر أنتم- ورحل.

لم يستطع صابر أن يجد الكلمات المناسبة ليرد بها على الجملة التي نطقت بها منار بعد أن طال انتظاره في أن تعير لوجوده أي اهتمام، ولكنه لم يجد، فاستطردت قائلة:

- كيف؟ قل لي كيف يعلم بما يحدث؟ أليس بميت؟

ظل لسان صابر ممسكا على كلماته يأبى أن ينطق شيئا وإن كان مجرد هراء.

وقفت منار وتوجهت ناحية الباب وقالت:

- لنرحل الآن.

تبعها صابر في طاعة تامة، لم يشعر أنه بحاجة إلى الكلام أو المجادلة بل شعر أن هذا تحديدا مايحتاج إليه، أن يقول له أحد ماذا يفعل ويقوده ولا يجهد عقله بالتفكير، فقد كانت قواه خائرة ونفسه ممزقة بين الكثير، بين طفولة غائمة وشباب بارد وبيت فارغ وأحداث مفاجئة غير مفهومة ومشاعر لا يدرك كنهها ونتيجتها، شعر كالطفل الضائع في أرض بور لا حياة فيها ولا ألوان حتى وإن كانت باهتة، فقط أحلام وشفرات وهو وحيد، لا يهتم لأمره أحد ولا يهتم لأمر أحد وحينما ظهر شخص ما تمنى من أعماق الفؤاد أن يشعر بوجوده، اتضح له أن هناك ميت وحي يقفان حائلا بينهما وأنه سيظل جبانا يدعي القسوة والبرود ليستر بهما ضعفه وهشاشته.

فلتتبعها ياصابر ولترضخ للأمر، فالله وحده يعلم إلامَ سيؤول هذا الأمر ومتى ستُكتَب نهايته وبأيدي من.

في تلك الأثناء كان يزيد قد أنهى استعداداته وهمَّ بالنزول حين استوقفه أخوه قائلا:

- حمدا لله أنها رحلت.

فالتفت إليه يزيد مشدوها فهو يعلم عمن يتحدث أخوه ولكن لماذا يقول له هذا الهراء، واستكمل أخيه غير مهتما بما سيجيب يزيد:

- كأنك تعيش وحدك، لا ترى أحدا، لا تسأل على أحد، لا تعبأ بأحد، هائما، زائغا، كأنك لم تكتف بغربتك الأولى وقررت أن تستمر فيها هنا، أنا لا أريدك مادمت ستظل هكذا، أنا أريد أخي، يزيد القديم، يزيد الضحّاك، المشاغب، العنيد والحنون في نفس الوقت من أن؟؟ إلى أين ذهبت بأخي؟

لم يجبه بل فتح الباب وخرج. ظل متسمرا خلف الباب، تهرب منه العبرات كأنها في سباق فيما بينها، اختنق، أراد أن يصرخ ولكنه لم يقوَ على ذلك، فقط هو وأمطار عينيه السوداء والباب المغلق الذي يقبع خلفه أخوه متسمرا بدوره.

قال يزيد مطمئنا نفسه، قريبًا سيفهم، قريبًا سأصلح كل شيء، ثم انطلق متجها إلى منزل منار وعندما وصل، ضرب الجرس ولم يجبه أحد هذه المرة أيضا ولكنه قرر أن ينتظر عودتها، فلا بد أن تعود في ساعة ما. جلس على الدرج المواجه لباب شقتها وظل صوت أخيه يتردد في عقله بلا توقف: أنا أريد أخي.

أخيرا ظهرت منار وصابر خلفها كظلٍ كئيب، بدا كل منهما سارحا في ملكوته ووساوسه، وبدون تحيات دخل خلفهما. استدارت منار قائلة:

- طارق جاءني يا يزيد وقال لي -أننا السر- واختفى.

- ماذا تقصدين بـ-جاءني-؟!

- في المنام يا يزيد، كالعادة. صابر لم يجبني أتستطيع أن تجبني أنت؟

- علامَ؟

كيف يعرف ما يحدث؟ أليس بميت؟

- قد يكون مرسالًا من الله أو الشيطان أو شيئًا من هذا القبيل فأنا لا أعلم من مُحرِّك ما يحدث.
قالها مترددا. .
- أنا لا أفهم تلك الأمور ولكن ما أعرفه أن الأحلام ليست عبثًا.
- إذن هو يعلم كل شيء، وكأنه ليس بميت، فلنبدأ. .
قالتها بلا مبالاة، ثم أحضرت جهاز طارق وقبل أن تفتحه قال يزيد موجهًا حديثه إلى صابر: -أتستطيع أن تجلب لي الأوراق؟-.
ماذا يقصد -تستطيع؟- أبهذا القدر أبدو عاجزا وعديم الفائدة، حدث صابر نفسه وهو يرمُقه بنظرة غضب فمنذ بداية هذه المغامرة وصابر يشعر بأن يزيد ندٌ له، ولكنه قام وجلب الأوراق من الصندوق كما طلب منه.
تناول يزيد الأوراق، وبدا كأنه يبحث عن شيء بعينه، فباغته صابر بالسؤال:
- عمَ تبحث؟
رد يزيد بدون تردد: -المشروع-.
- أي مشروع؟
- كان هناك خبر يتحدث عن مشروع ما، أظن أنه هو كلمة السر، ها هو. .
وأخذ يقرأ بصوت مسموع:
- أمريكا تقترح مشروعًا -كوكبيًا-، على نفقتها الخاصة بتكلفة ١ مليار دولار سنويا لمدة خمسين عامًا بداية من عام ،٢٠٠٠ بنُاءً على براءة اختراع أمريكية-
-الموافقة على مشروع درع أمريكي يستخدم الهندسة المُناخية من قِبَل المجتمع الدولي بنِيّة مقاومة -الاحتباس الحراري- في الوقت الذي تملصت فيه من اتفاقية -كيوتو- للحد من انبعاث الغازات الضارة والذي بدوره

يسهم في مشكلة الاحتباس الحراري-.
- ولكن طارق قال لي: نحن السر.
- ولكنه لم يقل لك -كلمة السر-. .
قالها يزيد وهو يأخذ الجهاز من منار وكتب -PROJECT- ولكنه لم يُفتح، قال:
- لا بد أن يكون لهذا المشروع اسم ما. ألديك حاسوب آخر هنا؟
لا، قد باعه طارق قبل وفاته بأيام، فصمت ثلاثتهم وتبادلوا نظرات الريبة وكأنهم أدركوا فجأة أنه باعه لسبب ما، فاستطردت:
- ولكن لديّ واحد في المكتب.
قفز يزيد من مكانه وقال:
- فلنذهب، ولنترك جهاز طارق هنا، داخل الصندوق مع الأوراق أيضا بعد أن أصورها بكاميرا هاتفي.
فصرخ صابر محتجا:
- لا، هذا خطر قد تكون هواتفنا مُراقَبة.
فنظرت إليه منار مستفهمة، فأكمل:
- لا أعلم ممن ولكني أشعر أن في الأمر مؤامرة ما وقد تكون أكبر منا ومن أي شيء.
- حسنا، لا بأس، لديّ كاميرا طارق التي اعتاد أن يصور بها وليست مخصصة للأوراق فلن يسعى خلفها أحد، سأذهب لأحضرها.
وبعد دقائق كانوا قد صوروا الأوراق، فقام يزيد بغلق الصندوق -فارغًا- وألصق المفتاح خلف المرآة الموجودة في مدخل الشقة ومنار وصابر يشاهدونه في سكوت، ثم أخذ الأوراق وطلب كيسًا بلاستيكيًا فذهبت

منار إلى المطبخ، ثم ظهرت بعد أن غابت وفي يدها طلبه، فتناوله منها ووضع بداخله الأوراق وسألها إن اعتاد طارق على ارتداء الأحذية الرياضية، فأومأت بالإيجاب، فطلب منها أن تحضر أحد تلك الأحذية، تعجبت من سؤاله وترددت قبل أن تحضر له الحذاء، فأزال نعله ووضع الأوراق ثم أعاد لصقه بعد أن أجبر صابر على النزول ليشتري له غراء. ثم أعطى الكمبيوتر لمنار وطلب منها أن تضعه تحت دواسة السيارة وقال أنه سيأخذ الكاميرا ويخفيها بمعرفته. تشككت منار ولكنها لم تحاول الاعتراض وانطلقوا متجهين قبالة المكتب بعد أن وضعوا الصندوق بقلب سرير منار بجانب الملابس الشتوية التي تخزنها فيه.

في الطريق طلب من منار أن تتوقف بالسيارة بالقرب من منزله وحاول أن يصف لهم كيف يصلون إليه ولكنه آثر أن ينتظراه بعيدًا حتى لا يلمحهما أحد. ترجل مسرعًا وتوجه إلى شقته وحمد الله كثيرًا أنه لم يجد أخاه، دخل حجرة أمه التي اعتاد أن ينام فيها منذ وفاتها، حرك السرير قليلًا، ثم أزال قطعتين خشبيتين من الأرضية أسفله وخبأ في تلك الهوة الكاميرا، ثم أعادهما وألصقهما جيدًا بالغراء الذي أجبر صابر على شرائه منذ قليل، وأعاد كل شيء كما كان ونزل راكضًا لينضم إلى مرافقيه مرة أخرى.

وبمجرد أن ركب السيارة وقبل أن تديرها منار، قال صابر بنبرة حانقة:

-الأوراق في منزل منار والكاميرا في منزلك والكمبيوتر في السيارة، لقد فهمت أنك تحاول ألا تضع البيض كله في سلة واحدة، تفكير هايل! ولكن مادوري أنا! ألا تأتمنني على شيء؟

باغته سؤال صابر، فهو لم يكن يفكر في الأمر بهذا الشكل ولكن بعد أن صاغه صابر شعر بالحرج ولكن سرعان ما تمالك نفسه وقال:

- لم أفكر في الأمر بهذا الشكل، لقد أردت أن يكون الكمبيوتر في السيارة للطوارئ والكاميرا خبأتها في مكان آمن كما أني أجيد استخدامها و. . . .
قاطعته منار، موجهة كلامها إلى صابر:
- وأنت تعمل في مؤسسة حساسة للغاية وقد تكون الأكثر عرضة للمراقبة والخطر.
انتبه يزيد وقال:
- عن أي مؤسسة تتحدثين.
- يمكنك أن تعتبرها -ناسا- القاهرة.
صُعِق يزيد، وأصاب لسانه الشلل، ثم تمالك نفسه وقال:
- وتريدني أن أحتفظ لديك بشيء! سيكون هذا أكثر ما فعلته حمقًا!
توجهت منار إلى صابر بنظرة حانية وقالت:
- أعلم أنك بارع في استخدام الحاسوب ولكن لأنك لم تعتد على حمل جهازك معك إلى العمل، لكنا قد استبدلناه به، ولكن حتى هذا الأمر يعد مخاطرة على الأقل الآن لأننا لا نعلم مايحويه الجهاز ولا نريد أن نتسرع. جميعنا في نفس السفينة الملعونة سواسية يا صابر.
صمت يزيد، احترامًا لمحاولة منار تهدئة ثورة صابر الطفولية. وبالفعل هدأ الجميع على الأقل ظاهريًا وأكملوا الطريق في سكون.
كانت الساعة قد اقتربت من العاشرة مساء حينما وصلوا. اتجهوا إلى الكمبيوتر الموجود في مكتب منار الخاص. جلس يزيد دون استئذان وفتحه واستغرب عندما لم يجد له كلمة مرور فعلق قائلًا:
- أنت وطارق شخصان متناقضان تمامًا، بينما هو زارع حقل ألغام حول جهازه الذي يوجد في منزله الذي ليس به شخص آخر عداكِ، تتركين جهازك

هكذا مشاعا في مكان عملك الذي به على ما أعتقد عشرات الأشخاص!
لم تُعقِّب منار، ولكنها قالت:
- عمَّ تبحث؟
- عن اسم المشروع.
وأخذ يزيد يبحث عن مشروع كوكبي، ثم مشروع درع أمريكي، ثم -قمة كيوتو-، ظل هكذا نحو ساعتين، غفل خلالهما كان صابر ومنار واستيقظا فزعين على صراخ يزيد:
MKULTRA-BIOTRAIL-CHEMTRAIL-HAARP-MONARCH .
ماهذا الهراء!
- ماذا بك يا يزيد؟ أوجدت شيئا؟
قالتها منار مفزوعة وهي تفرك عينيها.
- شيئا؟! تقصدين كوارث. أنا لا أفهم ما هذا، أهذه مزحة؟ أم فيلم خيال علمي أم ماذا؟ ومادامت الشبكة العنكبوتية المبجلة تحتوي على هذه المعلومات، فما السر، ولماذا نحن؟
اهدأ قليلا فنحن لا نفهم كلمة مما تقول، قالها صابر وقد أمسك بذراعي يزيد محاولا السيطرة على انفعاله الذي أصابهم بالذعر. حاول يزيد التنفس بصعوبة ووضع رأسه بين كفيه وأغمض عينيه وأخذ يردد همسا: -أغمض عينيك ولاتتحدث، ستجد الرائحة أقوى والصوت أنقى والرؤية أوضح-.
حاول صابر أن يقترب منه ولكن منار منعته بحركة من رأسها، فعدل عما نوى في الحال وجلسا في هدوء منتظرين تمالكه لنفسه ليفهموا عن أي كوارث يتحدث.

كسر يزيد الصمت الذي استمر طويلا وبدا أكثر هدوءا واتزانا:
- لنعد. .
فامتثلا لأمره في الحال وتبعاه دون مناقشة.
عادا إلى المنزل وقد قاربت الساعة على الواحدة صباحا، وأخذ يجرب تلك الكلمات:
-MONARCH- -MKULTRA- -BIOTRAIL- -CHEMTRAIL- HAARP-
لكن بلا طائل ومرت بجواره منار ووجدته مازال يحاول وينفخ بعصبية فقالت:
- قلت لك قال لي السر نحن، تخلَّ عن عنادك يا يزيد فلديّ شعور قاتل بأنه لم يتبق لدينا الكثير من الوقت لنضيعه في محاولات بائسة.
- -محاولات بائسة!- هكذا تجدين ما أفعله؟! أنا الذي جئت من بلد آخر لأشارك في هذا العبث مع اثنين لا فائدة منهم!
- ليس لدينا وقت للتناحر. يزيد، أنا لا أنتقدك ولا أمزح أيضا، أشعر بشيء ما لا أفهمه ولكنه ليس بشعور جيد.
قالت منار جملتها الأخيرة وهي تنظر إليه تحاول استجدائه بعينيها البريئتين.

فشعر يزيد بالخجل وقرروا جميعا الاستراحة قليلا فربما يعيق الإجهاد تركيزهم.

****

دقت الساعة المعلقة على الحائط معلنة وصولها للواحدة ظهرا، فرك صابر عينيه في كسل وحاول أن يقاوم الضوء الخافت المتسلل إلى الحجرة من

النافذة حتى تمكن أخيرا من أن يفتح عينيه نصف فتحة ثم تمكن من فتحهما تماما وظل يراقب حركة عقارب الساعة الرشيقة وكأنه يشاهد رقصة باليه يحاول أن يفهم القصة التي ترويها وظل محدقا فيهما ورآهما شيطانين يتلويان في خبث وتحد، يستفزانه ويثيران غيظه لعجزه على مقاومتهما وسباقهما، فهما يمتلكان الزمن، الزمن الذي خاض معه الصراع الأمرَّ. الأسوأ أنه لسبب غير معلوم، ظن أنه يستمع إلى موسيقى مزعجة تزداد تدريجيا وهو يشاهد العقارب التي تبالغ في تمايلها وبدأت تقترب منه وضحكاتها الساخرة تتعالى في الأفق، ها هي تقترب وستظهر على هيئتها الحقيقية وستلدغه ليموت ويستريح من هذا الجنون الذي حشر فيه قسرا، ولكنها تقترب منه وتبتسم ابتسامة صفراء وتحدثه بصوت هامس: -لن يحدث، سنتركك لعذاباتك حتى تقتلك ببطء-.

ظل صابر محملقا في السقف لأكثر من ساعة، وفجأة انتفض من مكانه وطرق الباب على غرفة منار فإذا بيزيد خلفه يقول: -رحلت باكرا-.

فازداد صابرا حنقا وغيرة. كيف يعرف، لا بد أنهما ظلا ساهرين يتسامران سويًا. هل تحدثا عن صابر الساذج المثير للشفقة؟ هل تقاربا؟ هل اتفقا على شيء دون علمه؟ هل سيقومان بخيانته؟

ظل عقل صابر يغلي ويزيد ينظر إليه منتظرا لأي تعليق أو أي ردة فعل، فحاول صابر أن يستعيد رباطة جأشه وسأله:

- وأين كنت وقتها؟

فابتسم يزيد وقال كنت نائما وسمعت صوت الباب يُغلق فخرجت من حجرة الضيوف ووجدتك غائصا في النوم على الأريكة وباب غرفتها مفتوح.

فهدأ صابر قليلا وقال:

- حسنا لنذهب إليها، هناك شيء أود أن أتحدث معكما فيه.

****

- هناك سؤال كان لا بد لنا من أن نبحث عن إجابته قبل الخوض في خضم تلك التساؤلات، وفي الحقيقة لا أدري كيف لم نفعل ذلك قبل الآن وكيف تجمدت عقولنا لنغفل عن أكثر الأسئلة بداهة ونهتم فقط بالسعي خلف -القضية الغامضة- رغم أننا إذا تمكنا من الإجابة على هذا السؤال سيصبح أول الخيوط في قبضتنا.

ماهو الرابط بيننا؟ لماذا نحن وهل يوجد آخرون يبحثون عما نبحث عنه؟ دعنا من الآخرين، ما الشيء المشترك الذي يجمع بيننا؟

من البديهي أن المحرك الرئيسي لكل هذا هو طارق رحمه الله، ولكن من أين عرفنا وماعلاقتنا بما نبحث عنه؟

قبل أن يحاول يزيد في تجربة الأسماء التي وجدها محاولا فتح جهاز طارق قالت لنا منار أن طارق زارها وقال لها -أننا نحن السر-، إذن الأمر متعلق بنا نحن، ولكننا لم نعرف بعض قبل اللحظة التي جمعتنا. إذن ما الرابط؟

في صباح اليوم أخذت أراقب عقارب الساعة المُعلَقة على الحائط في منزلك يا منار، هناك دائمًا عقرب كبير وآخر صغير، كل له دور.

نحن لم نتحدث عن أنفسنا سويا، لا أحد منا يعلم حياة الآخر وعائلته.

- وما الفائدة؟

تساءلت منار

- لأن الرابط قد يكون -رابط سلف-.

- ماذا تقصد؟

بدا على يزيد الارتباك.

- أقصد، أن الرابط قد يكون بين الآباء. ولكي أتأكد من صحة تلك النظرية، لأنني إلى الآن ليس لديّ أي إثبات عليها وقد تبدو لكم مجرد تخاريف حمى التوتر الذي أصابنا جميعا، يجب أن نتحدث سويا بالتفصيل عن حياتنا وعن حياة آبائنا مهما كان الأمر مؤلما وبالنسبة إليك منار فستحدثينا عن حياة طارق لأنني لا أظن الأمر متعلق بك بل متعلق بارتباطك بطارق ليس أكثر كما أشك أنه هو من أرسل الرسالة الأولى إلى يزيد.

- يبدو في نهاية الأمر أنك لست عديم الفائدة كما ظننت.

قالها يزيد وعلى وجهه ابتسامة أسى، فرّد عليه صابر بابتسامة مماثلة.

نظر ثلاثتهم لأسفل وارتسمت قسمات الحزن وآلام الذكريات على وجوههم، وقرروا أن يبدأوا بسرد حكاياتهم الواحدة تلو الأخرى.

****

قصص السلف

الدكتور راغب علاّم، أستاذ الفيزياء وأحد أكفأ الباحثين في جامعة ماساشوستس، هذا كل ما أعرفه عن أبي لأنه كان دومًا بعيدا عنا، وزياراته إلى مصر عزيزة للغاية جعلتنا، وأولنا أمي، نشعر بعدم الارتياح لوجوده وكأننا جميعا تأقلمنا على غيابه وأننا عمليًا بلا أب. تزداد المشاجرات بينه وبين أمي وقت زياراته ثم أخذت تقل تدريجيًا حتى خيَّم الصمت وساد.
لن أتقمص دور الضحية وأشكو إليكم من حرماني من حنان الأب ودوره في حياتي، لأنني لا أدعي أنني لم أتعلم شيئًا منه بالعكس، في كل زيارة له ورغم عدم قدرته على إظهار الحنان والتعبير عن حبه لنا كنت أشعر به وأرى في نظرات عينيه خوفه علينا وذعره حينما يصاب أحدنا نتيجة التهور أو المرض، وأذكر جيدا أنه كان يُغدِق علينا ولم يبخل أبدا ولكن لم يكن ذلك كافيًا.
-تعلمت منه أن الغربة تقتل الحب والود، وأن الأموال مهما زادت وفاضت تقف عاجزة أمام تعويضنا عن سنوات العمر المُنقضية، لأنني لم أجد أبدا الزمن يسير إلى الخلف إلا في أفلام الخيال العلمي التي أغرق الغرب التلفاز بها اقتناعا مني بأنهم يخشون الزمن وحلمهم أن يتوصلوا إلى طريقة سحرية ليهزموه بها لتتبدد مخاوفهم من المجهول. -
وآخر مشهد أذكره هو مشادة عنيفة قامت بينه وبين أمي وكانت كالآتي:
وقف يزيد وكانه يستعد لأداء عرض مسرحي
قالت أمي: إلى متى ستظل هكذا وبمَ تخاطر ولأجل من؟

رد أبي: أنت لا تفهمين. لقد قضيت نصف عمري أبحث في هذا الأمر، أنت لا تدركين خطورته.

- إذن لماذا تزوجتني ولماذا أنجبنا؟

- لم أكن أعلم ما يخبئه لي الزمن، صدقيني لو كنت أعلم ما فعلتها.

- لقد اخترت أن تضحي بنا من أجل هذه القضية!!

رد أبي بعد صمت طويل:

- أنا مجبر، ضميري أجبرني على ذلك.

- ضميرك؟! وأين ذهب حينما قضيت أجمل سنوات عمري أرُبي أولادك وحدي وكأننا أرملة!

- يومًا ما ستفهمين، وأعلم جيدًا أن لا شيء سيعوضك، وأنا الآن أيضا لا أستطيع تعويضك عما فات لأنني لدي طريق لأكمله إلى النهاية. كل ما أرجوه من أجل سلامتكم، ألا تذكري شيئا مما قلته لك لأحد، تناسيه كأنه لم يكن.

ردت أمي بحسرة وانكسار:

- نعم سأنسى كل شيء وأنساك أيضا كما نسيتني.

حمل أبي حقيبته وانطلق إلى المطار وبعد ذلك تواترت الأحداث بسرعة عجيبة كانت أكبر من قدرتنا على الاستيعاب، فبعد وصوله إلى أمريكا بحوالي خمسة أيام، جاءنا نبأ وفاته في حادث على الطريق وأذكر جيدا أنه عندما عرفت أمي الخبر قالت تلقائيا: -لقد قتلوه. . سامحه الله-.

وأُغلِق الأمر إلى اليوم، لم يُذكر اسمه في بيتنا على الأقل حتى اللحظة التي سافرت فيها وتركت البلاد عازمًا ألا أعود مرة أخرى ولكن ها أنا معكم الآن.

استمع صابر ومنار إلى يزيد باهتمام شديد وبدا على صابر الاندهاش وكأنه

أدرك حقيقة ما ولكنه أسرها في نفسه حتى يجمع كل القصص ليتضح الرابط ويزداد تأكده من نظريته المزعومة.

بادرته منار:

- ولماذا سافرت يا يزيد؟ ألم تتعلم شيئا من أبيك؟

- سافرت لأنني تعلمت يا منار.

لم تفهم منار، فتظرت إليه تطالبه بالتفسير.

- سافرت لأنني تركت قلبي هنا ولم يعد هناك فائدة من وجودي وسط أشباح في المنزل وشبح قلبي النازف، لقد كنت مرتبطا بهالة، حب عمري، ولكنني أعتقد أنني خذلتها فقررت ولأول مرة أن تتخلص مني ومن جنوني، فانتهى كل شيء وانتهيت أنا معه.

- إذن هربت.

- ربما. . .

- هل تأكدت أنها لا تريدك وأنها لم تكن تحاول إصلاحك قبل أن تشد الرحال؟

- لم أتأكد، ربما تسرعت لكنني في النهاية لست آلة أنا لست قابل للإصلاح منار.

أراد صابر أن ينهي هذا الهراء العاطفي الذي لم يستهوه ويصيبه دومًا بالإعياء والرتابة ويذكره بأنه من المحرومين على الأرض وأنه نصف بشر وليس بشرًا صحيحًا، فقاطعهما قائلا:

- حان الآن وقت حكاية طارق.

تنحنحت منار في ارتباك، فطالما كانت تشعر أنها نفسها تجهل حقيقة طارق بسبب غرابة طباعه ولكنها رغم ذلك استمرت معه لأنها أحبته ولأنها علمت

أنه يعشقها، لذلك لم تعرف إذا كان ما سترويه هو الحقيقة أم لا.
في الواقع لست متأكدة من صحة المعلومات التي لديّ، لأن طارق كان غريب الطباع، يغيب بالأيام بذهنه وكأنه ليس معي، في بداية الأمر كنت أستغربه كثيرا، ومع الوقت اعتدت على الصندوق المظلم الذي يحبس نفسه فيه من وقت لآخر، ولأنني أعلم أو حسب ما قال لي أنه فقد أبويه في سن مبكرة فلم تُتح لي الفرصة لأتعرف على أي منهما حتى جدته توفت قبل أن أتعرف عليها.
فكل ما أعرفه عن والديه أنهما كانا يعملان سويًا في إحدى الجامعات الأمريكية المشهورة ولكنه قال أنه لا يتذكر اسمها وأن والده كان يُدرّس علم الفلك في الجامعة بالإضافة إلى أبحاثه المشتركة مع بعض العلماء في وكالة ناسا، أما والدته فكانت تُدرّس الديناميكا الحرارية وقد تسبب حادث غريب في مقتلهما. ففور وصولهما إلى الولايات المتحدة ، بعد عودنهم من زيارتهم السنوية للعائلة في مصر، وبمجرد خروجهما من بوابة المطار جاءت سيارة مسرعة وأزالتهما من على الطريق وسط ذهول الجميع. كانت السيارة ، كما وصفها صديقهما، كبيرة الحجم داكنة اللون، ولكنها لم تكن سوداء، بزجاج قاتم وبدون أرقام مما جعله يعتقد أنها مؤامرة لاغتيالهما خصوصا وقد اضطرا لقطع عطلتهما من أجل استدعاء عاجل من الجامعة للبت في مشكلة هامة لم تذكرها الرسالة.
شعرت منار وهي تروي الحادثة أن صابر كان محقا في اعتقاده بأن الرابط بالفعل هم الآباء وليس الأبناء لشخصهم ولكنها أكملت، أما طارق فقد كان رسامًا موهوبًا، وعاشقا للتصوير، كان مجنونًا وخارقًا للعادة.
ثم توقفت وقالت:

- هذا كل ما أعرفه عن أهل طارق وأظن أن البلد وطبيعة العمل إلى الآن هو العامل المشترك بين أبيك يا يزيد ووالديْ طارق، فماذا عنك يا صابر بما أنك شخصيا تعمل في مجال الفلك هل مازلت تعتقد أن الرابط هو والديك أو أحدهما؟

- نعم، مازلت أتعقد ذلك.

ها هو ما أعرفه:

لقد تخلوا عني مبكرًا، وأرسلوني إلى خالتي التي لم تتزوج. أتذكر هذا اليوم الخريفي وكأنه الأمس، أتذكر نظراتهم الجامدة ومحاولة صمودها أمام نظراتي الحائرة المستجدية، لم أفهم أبدًا لماذا لكنني استشعرت الخطر وأن ما يقومون به ضروري.

الغريب أنني لم أسألهم عن السبب كأي طفل في عمري آنذاك ولم يحاولا تفسير ما يحدث، وكأننا اتفقنا باطنيًا على الصمت والصمود في وجه الفراق المحتوم.

أبي كان مُهندسا. تفوق كثيرا أثناء دراسته في جامعة كيوتو وحصل على منحة للدراسة هناك بعد أن قد سافر إلى اليابان عن طريق أحد برماج التبادل الطلابي واشترك معهم في بعض المسابقات وأعجبوا بنباغته وتعامله مع الأرقام بسلاسة حتى إنهم اطلقوا عليه -مايسترو الأرقام- وقد تخصص بعد ذلك في الهندسة المُناخية.

ومن هنا بدأ مشواره العملي وانهالت عليه عروض العمل في جامعات أمريكا وبريطانيا لكنه آثر الذهاب إلى أمريكا حتى يكون مع أمي التي كان قد تعرف عليها أثناء دراسته في كيوتو وكانت آنذاك تدرس الاقتصاد في نفس الجامعة وأرادت الذهاب إلى خالي الذي هاجر إلى أمريكا وتزوج

هناك واستقرت معيشته، وبالفعل استقرا في سان فرانسيسكو.
منذ صغري وكان يزورني في منامي شخص مجهول يريني والديّ وهما نائمين وأنا أحاول إيقاظهما ولكن دون جدوى فأدرك آخر الحلم أنهما أموات وأنني صرت وحيدا، حتى إنه إذا زارني في ليلة أظل أرد طوال اليوم -العو- كما أطلقت عليه وعندما آن الأوان وجاء هذا اليوم الكئيب تذكرته وأدركت أنه، أيا كان ذلك الشيء، أعدّني نفسيا لاستقبال تلك اللحظة أو هكذا حاولت تفسير الهدوء الذي نزل عليّ ذاك اليوم.
المهم، عندما ذهبت إلى خالتي احتضنتني بقوة كبيرة وحاولت طوال مكوثي لديها أن تدللني وترعاني قدر المستطاع والحق أنها لم تقصر لكنني قد أصابني العطب في القلب ولم أعد أستجيب لعطفها، صرت شخصا باردا، جامدا لا حياة فيّ، آلة عبقرية ومتفوقة فقط لا غير. وعندما جاءني نبأ مقتل أبي داخل منزلهم في سان فرانسيسكو على يد مجهولين ازددت شرودا وجمودا. لم أبك لم أفعل أي شيء وكأنني كنت انتظر تلك اللحظة منذ ولادتي. وصرت نصف بشري، كما ترون الآن. وأصرت أمي على الابتعاد وظلت هناك حتى عادت منذ بضع سنوات لتعيش في منزل خالتي.
ووجدت نفسي أختار مجال الفلك الذي أصابني الشغف به منذ الصغر، انشغلت بالقراءة والبحث وكانت متعتي الوحيدة أن أبحث وأتساءل عما هو في الخارج وكأنني كنت أبحث لنفسي عن منفذ أو موطن آخر.
ومازال حلمي قائما أن أسافر للخارج وأقوم بالبحث والاسكتشاف ولكن ذكرى مقتله وإصرار أمي على تجنُبي تمنعني من الذهاب وكأن الموت ينتظرني هناك بالرغم من عدم خوفي منه، بل إنني أشتهيه ولكنني أرفض أن أموت ذبحا على يد -مجهولين-.

توقف صابر عن الحديث ليلتقط أنفاسه ويتمالك نفسه، ثم عقب قائلا:
- الآن، تحققنا من صحة نظريتي، فالبلاد والنهاية المؤسفة والغريبة لأهلنا وتخصصات عملهم هي الرابط وأكاد أجزم الآن أنهم قد التقوا ببعضهم البعض ولكن السؤال هنا ما الذي كان طارق يعرفه ولماذا هو وكيف علم بالأمر وبمكاني أنا ويزيد، ولماذا هو؟ رغم أنه كما روت منار -رسام- وليس متخصصا في الفلك مثلي أو. . . ماذا تعمل يا يزيد نحن لم نعرف إلى الآن؟
- أنا متخصص في الإحصاء، وأعمل لدى أحد المراكز التي توكلها مختلف المؤسسات، و منها مؤسسات سياسية، لإجراء الإحصائيات الضخمة.
سار مُثقَل الخُطى، فاقد الهُدى، زائغ النظرات وبدا الطريق طويلًا، والهواء مُحمّل بأتربة كثيفة أقرب إلى الرمال منها إلى مُجرد غبار، والسماء مُختبئة خلف سُحب رُصاصية وكأنها حُراس سِجنها المرابطين ولكن كثافتها لم تمنع قسوة الشمس وحرارتها التي تسلب التركيز والوعي. لم يكن متأكدًا هل ما أصابه من تيه سببه الشمس القابعة خلف سحب غلاظ أم إن عقله أنُهك وقرر التوقف عنوة ودون إذن منه. وجد نفسه يُفكر بهالة، فهي دوما كانت ملاذه وسكنه وكثيرا ما كان يُثير غضبها فتفقد أعصابها عليه وتقول له أنه ممسوس ويجب عليه أن يرى شيخا يُخرج الجن الملازم له، هكذا كانت تنعته -ممسوس-، وأخذ يفكر هل كان معها حق في ذلك أم أن كل من يسير خارج درب الأغلبية الساحقة يُصبح ممسوسًا.
غريب أمر البشر. قديمًا، عندما أرسل الله إليهم الرُسل والأنبياء كانوا يؤكدون لأقوامهم أنهم لا يريدون مالًا ولا أجرًا، فقط وجه الله وهُداهم.
والآن يبحث البشر عن بشر مثلهم يدفعون لهم أموالًا طائلة ليخرجوا لهم الجن ويدرأوا الحسد عن أجسادهم ولا يهم كيف يفعلون ذلك مادام

هناك غيرهم يدفعون أيضا أموالًا طائلة لمُسَخِّري الجن لإيذائهم!! متى وصلنا إلى هذا الحد من الانحدار وهذه المرتبة من الضلال؟ أنجح إبليس في الإيقاع بنا أم إنه كان مقدر لنا أن تزَّل أقدامنا ونسير محملين بالخزي والعار إلى قيام الساعة؟ أنستحق بالفعل ما نحن فيه أم إننا خُدِعنا وظُلِمنا؟ ولكن معظمنا يدرك أن إبليس تحدى الإله ورغم ذلك تفتح أنفسنا له الأبواب على مصراعيها ليدخل ويكثر فيها الفساد، إذن إبليس ليس وحده المسألة، فالأمر بدأ عندنا وينتهي عندنا. ألم يعِد الله آدم بالخلود في الجنة ورغم ذلك ترك إبليس يغويه بشيء لديه بالفعل، فحق العقاب عليه ونزل إلى الأرض وها نحن جميعًا في أرض العقاب والفساد العظيم، ها نحن داخل مصفاة تُدعى -الحياة-، ها نحن غير قادرين على التحكم في غرائزنا، نضل فنُضلل خلفنا الآلاف بل الملايين، نخادع الناس وأنفسنا قبلهم، ندّعي ونتمادى في الادعاء حتى نصدق الكذب الذي اخترعناه بأنفسنا ولأنفسنا، نحارب الأفكار التي تهدم مسلماتنا خوفًا من عقول على عقول، خوفًا على مصالح حتى وإن كانت من الطالح، الحق أن نخشى من أنفسنا على مصائرنا وليس من الشيطان.

ظل يزيد بين أفكاره وحربه بين ذكرياته وحيرته حتى وجد نفسه يصرخ دون أن يشعر -نحن قوم إبليس المخلصون، نحن الملعونون، نحن للذنب وارثون- وأخذ يلهث وشعر بأن الدنيا تدور به والوجوه المُحدِّقة إليه تتضاعف وكأنها خلايا تنقسم بلا توقف، وكأنه أول الخلق وهو واقف عند الصفر وعلى مشارف الواحد، وكأن الزمن لم يعد والمكان لا يهم، أغمض عينيه وجلس على الأرض وسط الطريق وحاول أن يتمالك نفسه حتى اقترب منه صبي بزجاجة مياه قائلا:

- هذا القيظ يفقد الناس عقولهم لقد فقدت الوعي منذ يومين وقبل أن أفقده مباشرة رأيت جدتي المتوفاة تربت عليّ وتبتسم.
وصل يزيد الحي الذي يقطن فيه بصعوبة بالغة وبعد أن شرب الزجاجة التي أعطاها له الصبي كاملة وجد نفسه يتوقف عند بداية الشارع وتردد في الاستمرار، فهو ليس في وضع يسمح له بتحمل حنق أخيه عليه وامتعاضه من إهماله له ومن تصرفاته اللا مبالية وظل واقفا سارحًا مع نفسه في أفكاره حتى وجد يدا على كتفه وصوتا يقول له: -أنسيت مكان المنزل؟-.
خاف أن يُصدِّق حدسه وخشى أن يستدير فيُصعق، ظل ثابتًا لم ينطق كأن الكهرباء صعقته فتخشب. تحركت ويدها مازالت على كتفه فصارت تواجهه وعيناها تطارد عينيه في تحدٍ وقوة، ابتلع ريقه بصعوبة بالغة فحلقه كان شديد الجفاف والصدمة زادت من هجمة الاختناق، هالة. .
توقف الزمن للمرة الثانية، ولم يستطع التفرقة بين الحقيقة والوهم وإن كان الوهم خيال فلماذا يمدحون الخيال ويسبون الوهم فكلاهما يأخذك إلى مكان تريده مكان غير الذي غُرِست فيه ولم تعد قادرًا على الفرار منه.
- أستظل هكذا كثيرا، أعتقد في النهاية أن أخاك لم يبالغ بوصف حالتك المزرية فأنا شخصيًا تشككت عندما رأيتك قادمًا من بعيد تنظر حولك كأنك تتعرف على المكان للمرة الأولى وتأكدت عندما رأيتك تتوقف فجأة، يبدو أنك فقدت ما تبقى لك من عقل كما تنبأت لك أيها الممسوس.
- لم أفقد عقلي بعد ولكني لم أتوقع رؤيتك، متى عدتِ؟
- عدت الأمس.
- ومنذ متى تتحدثين مع أخي؟
- منذ اليوم الذي قررت فيه أن أرحل وألّا أعود، من الأفضل أن تصعد إلى

المنزل الآن، لا تبدو على مايرام.
دفعته من الخلف وهي تقول:
- اذهب الآن. .
فأدار يده اليسرى خلفه وأمسك ذراعها وقال:
- دون النظر إليها يجب أن نتحدث.
استدارت لتواجهه وقالت:
- لاحقًا، سيحدث لاحقا بالتأكيد.
حررت يدها من قبضته وأعطته ظهرها ورحلت.
من أين جاءت بهذه القوة، يا إلهى كم تعبث بنا السنون وتغيرنا!! كم أنت صلد أيها الدهر.
انصاع للأمر وصعد ليجد المنزل خاليا، فحمد الله، الذي كان قد تناساه، وألقى بنفسه تحت الماء البارد وأغمض عينيه وأخذ يسترجع تفاصيل اليوم منذ البداية وحتى لمسة يد هالة.

****

-طارق يزيد صابر----- غير صحيح.
-يزيد صابر طارق------ غير صحيح.
-صابر طارق يزيد----- غير صحيح.
-صابر يزيد طارق----- غير صحيح.
واستمرت محاولات صابر للتوصل إلى -كلمة السر-.
-السر- كم تثير تلك الكلمة حنقه وخوفه، فهو لم يسأل نفسه من قبل إن كانوا متأهبين لمعرفة ما هو خلف تلك الكلمة، هل هم حقًا أهلٌ لهذا الأمر برمته أم كونهم أبناء أشخاص بعينهم هو من وضعهم في ذلك الطريق، نعم

أبناء أشخاص بعينهم!! فلنجرب إذن: -مندور راغب زهير- --- خطأ وأخذ يُفكِّر مليا، فالمايسترو لتلك الأحداث هو طارق ومن أرسل بعده الرسائل هو يزيد فلو اعتبرنا أن آباءنا كانوا في مناصب مُدّرجة في تلك القصة كرتب الجيش إذن سيكون والد طارق هو الأول ثم والد يزيد ثم أبي، قد أصيب هذه المرة:

-زهير راغب مندور- ----- وإذا به يجد نفسه يعود للخلف وكأن ما فُتِح في وجهه هو الباب المؤدي إلى جهنم، لقد أصبت، حقا لقد فعلتها. وتردد كثيرا، هل يقترب ويبدأ في البحث عن محتويات هذا الجهاز الملعون الذي أصابهم بلعنته وتسبب لهم في الكوابيس وهروب النوم للأبد؟ أم ينتظر حتى يتجمع ثلاثتهم أفضل فهو في النهاية لا يدرك خطورة ما يحويه وقد تكون مزحة في نهاية الأمر فينتهي بتحطيمه غيظا.

ولكن الطبع غلاب ومن المستحيل أن تمنع باحثا من استكشاف شيئا يثير فضوله ويتحداه بجهله عما يحويه، وبالفعل بدأ صابر في البحث وظل في مكتبه حتى جاء المساء بستارته السوداء التي كما تحجب ضوء الشمس تحجب عنه ضوضاء البشر وثرثرتهم. لملم أوراقه والحاسوب ووقف مليًا يرتب أفكاره ويفكر كيف سيخبرهما بما وجد، فالمعلومات كثيرة ومتشابكة ويصعب فهمها وإن تم صعب تقبله واستيعابه التام، ما باليد حيلة لا بد من هذه الخطوة، لا مفر من هذا الأمر فهو كالقدر الذي اختار آباءهم كما اختارهم خلفًا يحمل اللعنة حتى لا تموت.

فزعت عندما وجدته واقفا في الظلام خلفها، لم تسمع صوتا أو تشعر بحركة تنذر بوجود كائن ما وليقينها بأنها آخر من تبقى في المكان، كان ذعرها مضاعف حتى إنها صرخت في وجهه لاعنة تصرفاته المخيفة، ثم هدأت

عندما وجدته ساكنا ورأت في عينيه نظرة الرعب وأدركت لحظتها أنهم في مصيبة وأنها لن تنسى هذه النظرة ما حيت.

استمر في صمته يفكر، وأكثر ماكان يخشاه رد فعل منار ويزيد. خشي أن يفكروا بالتخلي عنه لأنه منذ اللحظة التي بدأ فيها باستيعاب الأمر قرر أن يكمل المشوار، ففي النهاية ليس لديه شيء يملكه في دنياه أغلى من فضوله بالإضافة إلى أن المسألة لم تعد اختيارية وهذا ما كان يتمنى أن يدركوه بأنفسهم دون لجوئه لمحاولات إقناع مستميتة يضيع معها الوقت ويتضاعف على أثرها التوتر بينهم.

القلق الذي سيطر على منار دفعها للصمت بل وأكثر من ذلك، فقد كانت تتمنى ألا ينطق، تمنت أن تفقد الذاكرة وتنسى كل شيء، تمنت أن يرحل للأبد، تمنت أن تظل جاهلة بحقيقة ما يحدث حتى وإن تخلت عن حاسوب طارق الذي رأت صابر يحمله ويحكم قبضته عليه وكأنه ولده الذي يخشى عليه من الضياع والاختطاف.

بمجرد وصولهما إلى منزل منار، اتصلت بتليفون منزل يزيد الذي قرر أخيرًا أن يفصح عنه وأكّدت عليه سرعة الحضور. وقد كان.

****

مشروع الوأد

- ما سأقوله الآن قد يصعب عليكم استيعابه، فأنا شخصيًا لم أستطع أن ألم بكل شيء ومازلت أبحث لأن الأمور متداخلة ومتشعبة ومتعددة الأطراف، ولكن ما استطعت أن أخلص إليه هو أن القدر اختارنا -لنعرف-، ولا أعلم حقًا ماذا يجب علينا فعله ولست متأكدا إن كنا نمتلك القدرة لنقف أمام أشياء كهذه والتي من المؤكد أن حاول قبلنا الكثيرون التصدي لها وإزاحة الستار الذي أسدل عليها ومنهم آباؤنا وآخرون في جميع مناحي الأرض.
المهم سأحاول أن أُشرِككم فيما توصلت إليه وحاولوا أن تحسنوا السمع إليّ دون مقاطعة، فلن أتمكن من الإجابة على العديد من الأسئلة التي ستدور في خلدكم.
أولا - كلمة السر- كانت أسماء آبائنا ولكن بترتيب تواتر الأحداث، فالبداية كانت من عند طارق، رسول الأحلام وانتهت عندي ولذلك كانت -زهير راغب مندور- ، وبدون الخوض في تفاصيل كيفية التوصل لتلك الفكرة، فُتح أمامي الحاسوب ووجدت نفسي أمام ملفات وأسماء ومشاريع ومؤسسات بعينها.
هل تتذكرون مجموعة الأخبار التي قرأناها سويا وتساؤل يزيد بعد البحث -ما هو الجديد في الأمر إذا كانت المعلومات متواجدة على الشبكة العنكبوتية ومتاحة للجميع؟-.
لقد لاحظت أن معظم الأخبار تصب في جهة بعينها وهي البيئة وتحديدًا المناخ. وبدأت في البحث ولحسن الحظ، وجدت الملفات منظمة بدقة

وبأسماء واضحة مما سهّل عَليّ الأمر، وإليكم أول ما توصلت إليه.
الأمر بدأ حسب ما فهمت بالمؤتمر الأول للأمم المتحدة حول البيئة والتنمية أو ما ما يُعرف بمؤتمر قمة الأرض والذي أنعقد في ريو دي جانيرو عام ١٩٩٢ والذي كان يهدف إلى تثبيت تركيزات الغازات الدفيئة، وهي العناصر الغازية المكونة للغلاف الجوي مثل ثاني أكسيد الكربون وغاز الميثان، الطبيعية والبشرية المصدر التي تمتص الآشعة تحت الحمراء وتعيد بثها، عند مستوى يحول دون تدخل خطير من جانب الانسان في النظام المناخي وضرورة بلوغ هذا المستوى في إطار زمني كافي يتيح للنظم الإيكولوجية أن تتكيف بصورة طبيعية مع تغُير المناخ، وتضمن عدم تعرض إنتاج الأغذية للخطر، وتسمح بالمُضي قدمًا في التنمية الاقتصادية على نحو دائم. وقد قامت الاتفاقية بتسليط الضوء على بعض المناطق منها البلدان الجزرية، البلدان ذات المناطق الساحلية المخفضة، المناطق المعرضة للجفاف والتصحر والمناطق التي تعاني من التلوث الجوي والمناطق التي يعتمد اقتصادها على الدخل الناشئ عن إنتاج وتجهيز وتصدير و/ أو استهلاك أنواع من الوقود الأحفوري والمنتجات كثيفة الطاقة المرتبطة به. ثم تبعها -بروتوكول كيوتو- عام ١٩٩٧.
ما لفت نظري أن الولايات المتحدة الأمريكية أعلنت بعد ذلك عن مشروع كوكبي مبني على دراسة أمريكية بتكلفة تصل إلى حوالي مليار دولار في العام لمدة خمسين عامًا بداية من عام ٢٠٠٠ وحتى ٢٠٥٠. وقد بحثت قليلا ووجدت شيئًا مرتبطًا بالأمر يُدعى ال-الكيمتريل- - Chemtrail -.
ببساطة، هو عبارة عن -سُحب اصطناعية - تتبع الطائرات النفاثة، وقد أجريت حديثًا مع أحد أصدقائي المتخصصين في الهندسة المناخية وتعجبت

من إلمامه بالأمر وشرحه لي كالآتي:
-ثاني اكسيد الكربون وبخار الماء هما نواتج احتراق الوقود، عندما ينتشر بخار الماء في محيط بارد بدرجة حرارة تصل إلى أربعين تحت الصفر -٤٠ ومع تعرضه للضغط، يتشكل الندى، عندها يتكثف البخار إلى نقاط صغيرة من الماء أو بلورات من الثلج، مع انعكاس آشعة الشمس تظهر كخطوط بيضاء خلف مُحرِكات الطائرات النفاثة وهو ما يُعرَف -بأثر الماء المتجمد- أو ال- Contrail -.
أما الكيمتريل فهو مزيج من الغازات، تختلف باختلاف الهدف، منها أكسيد الألومونيوم -Al2O3- وأكسيد الباريوم -BaO- الذي كان الهدف منهما الحد من ظاهرة الاحتباس الحراري حيث يتم وضعهما في تانكات الطائرات النفاثة وأحيانا يُستبدل بتانك دورات المياة وعن طريق مضخات تسحب الغاز في أنبوبة من النحاس أو الرصاص لتفُتَح خلف هواء العادم في محركات الطائرة، يدفع الهواء الشديد هذا السائل في صورة -سحابة طويلة- فينثر المركبين في طبقة الستراتوسفير - Stratosphere - التي توجد بها طبقة الأوزون والتي من المفترض أن تمتص معظم الآشعة فوق البنفسجية الضارة من الشمس. في هذه الطبقة ترتفع درجة الحرارة تدريجيًا مع الارتفاع بحيث تصل أعلى درجة للحرارة إلى صفر درجة مئوية، كما أنها تتميز أيضا بضعف حركة الرياح فيها مما يسمح بوجود الغازات بها لمدة طويلة.
وحيث أن مشكلة الاحتباس الحراري تفاقمت كثيرًا لأسباب عدة، منها التمادي في اجتثاث الغابات التي تعمل كمصفاة طبيعية للهواء وتخلصه من ثاني أكسيد الكربون وكثافة استخدام المواد البترولية وغيرها من الأسباب التي أدت إلى كثافة بث بعض الغازات كثاني أكسيد الكربون وغاز الميثان

والتي بدورها تتراكم على شكل طبقة فوق سطح الأرض.
وحيث أن الشمس هي المصدر الرئيسي للحرارة وحيث كان جزء كبير منها ينعكس إلى أعلى مرة أخرى على سطح البحار والمحيطات، حالت هذه الغازات دون ذلك وعملت كالمرآة تعكس الآشعة المنعكسة مرة أخرى إلى الأرض فكان -احترار الأرض-.
و من هنا ظهرت أهمية مادة الألومونيوم حيث إنها من المواد العاكسة للحرارة تعكس حرارة الشمس إلى الفضاء وعند هبوط هذة الغازات تدريجيا مع الجاذبية، تتحد مع ثاني أكسيد الكربون فتتكون مواد كربونية أخرى تسقط مع الأمطار فتقل نسبتها تدريجيا مع الوقت.
وقد جاء اعتراف البرلمان الألماني باستعمال تلك التقنية عندما أجابت مونيكا جريفان عضو مجلس إدارة منظمة السلام الأخضر على خطاب مناهضي استخدام الكيمتريل بأنها تشاطرهم القلق من استخدام مواد الألومونيوم والباريوم لسميتها ولكنها تدرك أن استعمالهما يتم في الحدود الدنيا-.
ثم سألته ما المشكلة إذن ماداموا قادرين على الحد من مشكلة الاحتباس الحراري؟
فقال لي:
-كوارث. ألم تلاحظ التغيرات المناخية المتطرفة التي حدثت ومازالت تحدث؟-.
وعندما قال ذلك بدأت أسترجع ما قرأناه سويًا وقبل أن أقول له ما يدور بخلدي، سبقني قائلا:
-هل تعلم أن الولايات المتحدة الأمريكية استخدمت تلك التقنية في حرب الخليج الأولى على العراق عام ١٩٩١، عن طريق تحميل

أبخرة الطائرات بالسلالة النشطة من الميكروب المهندس وراثيا mycoplasma fermentans incognitus وقد شاع وقتها باسم -مرض الخليج- على أساس أنه مرض غير معروف، وقد كشف النقاب عنه الدكتور -جارث نيكلسون-.

وقد سبق تلقيح الجنود باللقاح الواقي منه قبل إرسالهم إلى ميدان المعركة! ورغم ذلك، فقد عاد حوالي ٤٧٪ من الجنود الأمريكان مصابين بالمرض، ويذكر أنه تجنبًا للإدانة وللاستمرار في الادعاء بالجهل التام عن حقيقة ما كان يحدث، زعمت وزارة الدفاع أنه ناتج عن أنواع من السموم الكيماوية المتولدة عن إطلاق ذخيرة الطلقات الجديدة فائقة الصلابة. وقد تمكن الدكتور جارث وزوجته من اكتشافه عن طريق اختبارات جينية معينة وذلك بعد أخذ العينة من ابنتهم بعد عودتها من عاصفة الصحراء، فقد تشكك في كون المسبب سلاح كيميائي نظرًا لمستوى العدوى المرتفع، واكتشف أن الميكروب يحتوى على جزء من جينات فيروس الإيدز مما يجعله أكثر شراسة وأكثر التصاقا بالخلايا وصرَّح أن هذا الاتحاد لم يتم طبيعيًا بل تم في -المعمل-!

صاحت منار وكنت قد نسيت وجودها

- ما هذا؟! ماذا تقول؟ هل هي حرب إبادة جماعية أم ماذا؟

رد يزيد بهدوء لم أتوقعه:

- صبرا يا منار. . أكمل من فضلك.

- المهم. . حينها اعترضت وقلت له إن هذا ليس دليلًا كافيًا

قال: سأعدد لك ما تستطيع هذه التقنية فعله. هل سمعت عن إعصار -جونو- الذي ضرب عمان في يونيو ٢٠٠٧.

قلت: ماذا عنه؟
قال: يُعتَبر إعصار -جونو- أقوى إعصار مداري يضرب شواطئ بحر العرب و...
قاطعته: لا تقل لي أنه بفعل فاعل، أنعيش في فيلم خيال علمي أم ماذا؟
ولكنه استطرد متاجهلا تعليقي: وكان الهدف لهذا الإعصار هو -إيران- ولكن بسبب أخطاء حسابية ضرب عمان وعندما وصل إيران كان قد ضعف.
كيف حدث ذلك؟ سأقول لك. عند تبريد تلك الكتل الهوائية الناتجة عن الكيمتريل ينكمش حجمها وتكون منخفضا جويا الذي بدوره يبدأ بالتلاعب بالرياح ويتم سحب الهواء من أقرب مرتفع، وهذا أيضا السبب القابع خلف أسراب الجراد التي هاجمت مصر وشمال أفريقيا وشمال البحر الأحمر ومنطقة جنوب شرق آسيا فوق السعودية والأردن أواخر عام ٢٠٠٤م، مما أدى إلى تحول المسار الطبيعي للرياح الحاملة لأسراب الجراد الصحراوي إلى الجزائر وليبيا ومصر والأردن وغيرها، وبهذا لم تتم الرحلة الطبيعية لأسراب الجراد. والذي لفت الأنظار للأمر هو لون الجراد الأحمر الذي دخل مصر بدلا من الأصفر، مما يعني أن الجراد لم يكتمل نموه الجنسي ولم يسر في رحلته الطبيعية نتيجة للتلاعب في حركة الرياح-.
صدقوني لم أعرف ماذا أقول، وجدت نفسي أمام الكثير من المعلومات التي لم أكن سأبحث عنها وإن وجدتها لم أكن سأصدقها. وأظن أن صديقي شعر باضطرابي فأراد أن يطرق الحديد وهو ساخن وذكر لي موجات الحر القاتلة والتي لم تكن متوقعة ولم تكن تناسب مناخيًا الأماكن التي حدثت فيها كباريس عام ٢٠٠٣، وجنوب أوروبا في يونيو عام ٢٠٠٧.
ثم استمر في إلقاء القنابل في وجهي وقال: طبعًا ستقول كيف فعلوها هذه

المرة؟
سأقول لك. عند هبوط سحابة الكيمتريل إلى سطح الأرض فوق المدن الكبيرة حيث ملايين السيارات التي ينبعث منها كم كبير جدا من الحرارة، يقوم أكسيد الألومنيوم بعمل مرآة تعكس هذه الحرارة للأرض مرة أخرى، ما يؤدي إلى ارتفاع درجة الحرارة بشكل غير عادي، والذي أيضا يتحمل مسؤولية الجفاف لأنه مادة شرهة للماء ويتحول من الأكسيد إلى الهيدروكسيد، وعندما يزداد الجفاف تدريجيا تبدأ الحرائق أيضا في الاندلاع بالغابات من اللا شيء، وأيضا القتل بالصواعق.
الصواعق؟!
نعم، يتحد الكيمتريل عند خروجه مع ثاني أكسيد الكربون فيؤدي ذلك إلى تولد شُحنات في حقول كهربائية كبيرة وعندما يتم إطلاق موجات الراديو عليها لتفريغها قرب الأرض تحدث الصواعق والبرق والرعد الجاف دون سقوط أي أمطار كما حدث في بازل في سويسرا وفي ولاية ألاسكا الأمريكية وفي مصر يوم ١٨ مايو ٢٠٠٥ وفي ألمانيا يوم ١٢ مايو ٢٠٠٠ -.
وغيرها من الظواهر كالثلوج والفيضانات والاستمطار.
ولكن الأمر لم يتوقف عند هذا الحد. وسيحتاج إلى حديث آخر أوربما أكثر من ذلك.
هذا ما حدث إلى الآن، وقد حددت ميعادًا معه لنجتمع جميعًا وتسمعا بآذانكما ما يقول، فأنا مازلت غير قادر على الاستيعاب أو الاقتناع بأن هذه الأمور تحدث بالفعل.
-ولكن، إن كان هو وآخرون غيره في جميع أنحاء العالم يعرفون كل هذا، لماذا نحن كشعوب لا نعرف شيئًا عن الأمر ولماذا لا يكشفون تلك الأمور

بإيضاح لتمم محاربتها إيقافها دوليًا؟-.
قالتها منار ونظرت إليّ بعيون متحدية تقول أنها تريد إجابة حاسمة الآن، الآن وليس بعد قليل.
باغتني يزيد بالرد:
- وكيف تعرفين أنهم لم يحاولوا، وهل تظنين أنهم سيتركونهم يكشفون الجانب الأسود من الأمر بتلك البساطة وترى لماذا قتل آباؤنا، أليس من الممكن أن يكونوا من ضمن الكثيرين الذين حاولوا، وربما للأمر بعدًا آخر غير المعروف.
لقد ذكرت أنه مشروع كوكبي وأعلن عنه. هل تمت الموافقة عليه من جهات رسمية؟
نعم، فهو مسجل كبراءة اختراع لعام ١٩٩١ وقد تمت الموافقة الدولية عليه مع إشراك منظمة الصحة العالمية.
- إذن فهناك مصالح دولية مشتركة.
قالها يزيد وهو يتوجه إلى منار.
فهزت رأسها في خيبة ولك تُعَقِّب.
لا أنكر أن كلامه أصابني بالذعر ولكنه قبل أن يتركني قال شيئًا أكثر خطورة عن تأثير هذه المواد المباشر على صحة الإنسان بُناءًعلى أبحاث بعض العلماء، وعدد بعض الأعراض التي أصبحت شائعة بيننا حتى كففنا السؤال عن الأسباب، كنزيف الأنف، ضيق التنفس، آلام الصداع الشديدة، عدم حفظ التوازن، الإعياء المزمن، أوبئة الأنفلونزا، التهاب الأنسجة الضامة، فقدان الذاكرة، أمراض الزهايمر.
واحتمال تحميله ببكتيريا يستنشقها الإنسان وتسبب جميع الأمراض التي

نسمع عنها الآن ونسميها أمراض العصر، وهذا ما يفسر إقدام بعض شركات الأدوية على الاشتراك في تمويل مشروع الدرع بمليار دولار سنويا، حسب قوله. كما ذكر مشروع آخر يطلق عليه -هارب- وهذا الاسم ذكرته يا يزيد سابقا بعد بحثك السابق، وأظن هذا هو سبب هدوئك الآن بخلاف منار.
- نعم. أعرف بعض المعلومات عن هارب وعن أشياء أخرى تثبت كم تم استغفال الشعوب، لكنني كنت أتمنى ألا يكون للأمر علاقة بكل ذلك.
سأخبركم عما أعرف ولكن ليس اليوم، دعونا نخرج الآن نستنشق بعض الهواء فمنار على وشك الانفجار.
ابتسم يزيد مُداعبا إياها لكنها لم تستجب، فكل ما سمعته خارج نطاق مجال قدرتها على الاستيعاب أو حتى التَقبُل.
أبدت منار اعتراضها وطلبت منهما الرحيل لرغبتها في النوم.
فأمتثلا لرغبتها ورحلا.

****

توجه يزيد إلى المنزل فإذا بأخيه يناديه ويعطيه جوابا، فأخذ يقلبه بين يديه حينما علم مصدره، ودارت به الدنيا. شعر أخوه باضطرابه، فتوجه لغرفته هربا من نظرات أخيه المستفسرة وأغلق عليه غرفته بالمفتاح وفتح الظرف وأخذ يقرأ:
إلى يزيد،
الأشياء تبدو معكوسة، لست متأكدة من شعوري الحالى، الأرض تدور بي أم سقف الغرفة، لست واثقة تماما. لا أتذكر في أي يوم نحن، ولا في أي شهر وفي أي عام، لا أعلم، كأني فقدت عقلي وفقدت القدرة على التمييز. الرائحة عطنة والجو مظلم ووونباح الكلاب مستمر بلا توقف كأنها تتوعد لي. لا

أعلم كم من الوقت مر حتى أدركت أنني معلقة من قدماي كما ولدتني أمي ولم أستوعب ما حدث بالفعل ولا أتذكر حجم الألم الذي هاجمني، ما أذكره جيدا أن أحشائي اعتصرت وكادت نفسي تزهق أكثر من مرة وجسدي ظل يدمي حتى فقدت الشعور تماما وذهبت في عالم آخر. . . .

بعد الاعتداء الحيواني الأول بأربعة أيام، هذا ما استطعت حسابه. .

الأشجار كثيفة والسماء غائمة تعلن عن انقشاع النهار وولوج الوقت المحبب لديهم وهو الليل. ففي الليل ينشطون، يعقدون صفقاتهم، يمارسون ألعابهم، يستمتعون بطقوسهم ورذيلتهم. كنت أنا ولورا دميتيهم لهذا اليوم، تسمع كل منا لهاث الأخرى وأنفاسها المتلاحقة نشَتّم رائحة الرعب المتقافز بين الجلد والأحشاء، ولكن لا تستطيع إحدانا رؤية الأخرى، فلكل واحدة لاعبيها وكل واحدة هدف للعبة مختلفة.

أجري، أتعثر، أقع، أقف مرة أخرى وأعيد الكرة، لا أرى بوضوح، ولا أجد مفر، داخل عقلي صوت يخاطبني ويخبرني بأنني مهما حاولت سأقع فريسة في يد الصياد ولكني يجب أن أستمر في المحاولة حتى لا تضيع المتعة والإثارة على اللاعب فيقتلني.

وفي النهاية، أقع في الشباك وأنتهك بأفظع السبل ثم يأتي دور الصاعق الكهربائى وأشعر به يفتت أحشائي حتى أفقد ما تبقى لي من الوعي ثم أرسل إلى مشاهدة المياه الجارية. وهلم جرا. .

نحن، المسافرون عبر الزمن، المخترقون حدود المكان والزمان، رسل الفضاء، السمك الطائر، أبطال حواديت قبل النوم، المتنقلون بين الأبعاد الزمنية دون جهد. نحن، المختارون بدقة لتجارب التحكم بالعقل، روبوتات تجارة الأسلحة والسموم والفراش التي تتم في الخفاء لمصالح حكومية سرية للغاية.

منا أبطال ونجوم شاشات ومنا من هم مثلي، عندما تنتهي الحاجة إلينا نصفى، نحيا مغيبين ونموت بالتصفية. ومن الأفضل قبل ذلك أن ننجب ذرية مختارة الجينات والصفات، قد نزوج لمالكنا المتحكم فينا حتى نُخلف من يكمل المهمة ولكن في صورة أفضل.

أمثالك لن يسمعوا عنا، وإن سمعوا لن يصدقوا وسيقولون -تخاريف- ولكن فقط من يعيش في هذه المجارير وبقي له جزء من عقل لا يصدق فقط بل يؤمن أيضا -بلعبة إبليس-. أتعلم أمرًا؟ هناك ذلك البابا الذي استلمني يوما ما بعد أن أتتمنا مهمة توصيل شحنة هائلة من الكوكايين. ورأيت معه أشد أنواع الانحراف شذوذًا، كيف أقوم بذلك؟ أنا مبرمجة ياعزيزي، فقط كل ما تحتاجه، أن تنطق بكلمة السر، تُظهِر المفاتيح، فتجدني أعمل مباشرة وبشكل ممتاز، أتنقل بين الشخصية والأخرى استجابة للمفاتيح، فأنا مجرد آلة في مخزن يعج بالآلات البشرية المبرمجة لمهام بعينها.

لماذا؟ هل تسأل حقا؟ أن يكون لديك جسد بشري تعقد عليه الصفقات والملذات، تصنعه كما تريد أنت، تبرمجه كما تشاء، تجعله يحفظ كل ما تريد ويستحضره متى تريد، تصنع منه نجما عالميا وخلفه الملايين من المعجبين فتنشر خلاله السم الذي صنعته، تفسد عقولا وتنتهك أعراضا، تجد نفسك ساحرا بلا قيود وبلا حدود، تُعلي من قدر جنس ما وتحيل كل ما دونه إلى المزبلة، إنه الجبروت، إنها الخيلاء وفجر السلطة ولا يهم مع من تعقد الصفقات، مع إبليس؟ وما المانع فالكل في هذه اللعبة أبناء إبليس.

لن أطيل عليك، فلم يعد لديّ متسع من الوقت.

ارتديت الفستان كما أُمرِت، فأنا في النهاية مستعبدة أمتثل للأوامر ولا أعارض، فأصحاب الإرادة فقط يمتلكون تلك المزّية لأنهم يتحكمون في

عقولهم ولديهم ما يُدعى -الإدراك-.
الفستان أسود، قصير، صُمِم ليُظهِر كل مفتن من مفاتن الجسد، وكأن من صممه درس التشريح أكثر من دراسته للتصميم ذاته. والحذاء أحمر زجاجي، فتناسب المظهر مع دوري في ذلك اليوم.
ساقني مالكي كالجارية، وعلمت حينها بأن موعد بيعي قد اقترب ولكن ظل الشاري محجوبًا حتى عندما دخلت إلى ذلك الحفل المزدحم بالبدل السوداء والفساتين البراقة وألحان الموسيقى تمتزج بأصوات الكؤوس والضحكات المغوية، ومرورا بباحة القصر المهيب ثم الصعود بضع درجات ثم الصعود لآخر طبقات القصر في مصعد مُصمم بأغلى الخامات ومبطن بالمرايا بحوافٍ مُرصعّة بالكريستال.
دفعني تجاه بعض الأشخاص بالكاد استطعت تذكر وجوههم حينها وعيونهم تنتهكني وتحيط بي كالفريسة المُقدمَّة في صندوق زجاجي، وبين هؤلاء ذلك الـ-شاري- صاحب زي مماثل لمن حوله ولكن بملامح ميزته كثيرا وجعلته واضحا لي بشكل مبالغ فيه وكأن المكان خلا فجأة من الجميع وبقيت أنا وهو فقط يحدق أحدنا في الآخر، ولكن هذه كانت مجرد أوهامي الخاصة.
فبمجرد أن رآني الرجل، قاده البابا الذي كان في انتظارنا إلى غرفة أخرى وحينها فقط بقيت أنا وهو بالفعل بعد أن تبادل البابا ومالكي بعض كلمات مشفرة ولكنها معروفة الوظيفة. . وقد كان.
وعرفت بعد تلك الليلة الرهيبة بعد أن عدت إلى سجني المحاط بالزهور أن -الملك- قد استمتع كثيرا وسيعيد الكرة قريبا. لذلك وجب علينا أن نكون على أتم استعداد وأضاف المالك وجوب إضافة شيئا جديدا في برمجتي هذه المرة حتى لا نفقد مصالحنا المشتركة معه في بلاده.

واستمر الحال على هذا المنوال وكلما شعروا بأنه مازال لدي بعض الإدراك وأن العملية لا تلبث أن تنتهي باستفاقة مؤقتة يعيدون البرمجة ويضاعفون العذاب والألم ودائما لديهم الجديد، دائما لديهم ما يذهلك ويشيب له الولدان، حتى جاءني ضيف في يوم مشمس ولا أتذكر تحديدا ماذا قال لكن ما أتذكره أنني ظننت حينها أن ذلك الحوار تم بيني وبين الله.

ثم تحدث معي ذلك الضيف والذي أجهل كنيته حتى اللحظة التي أخط فيها هذه الأسطر ولكنه اتفق معي على تهريبي وعتقي من يد هذه المافيا وبالفعل تم كل شيء كما خطط هو ولا أدري كيف حدث كل ذلك دون أن يشعر أحد منهم بما يدور.

أخذني هذا -المنقذ- إلى منزل وسط الغابات وحاول معي كثيرا حتى أسترد عقلي وإدراكي من جديد وبمجرد أنني بدأت أستفيق تذكرتك -يزيد- وكرهت حياتي وكرهتك أكثر من ذي قبل ولذلك قررت ما قررت فاقرأ السطور التالية لأنها آخر ما يصلني بعالمكم هذا، فقد اكتفيت. -

-هذ ما كتبته أيلا باختصار، فالتفاصيل التي روتها لي وما تمكنت أنا من تسريبه من أفلام مفزعة ولكنني أعتقد أنها قررت ما فعلت من أجل سببين، الأول إدراكها البشاعة التي تم التعامل بها معها وفظاعة ذلك العالم السفلي المظلم الذي يتلاعب بأرواح ومصائر البشر بهذا الاستخفاف وهذه الدونية، والسبب الثاني هو إيمانها بأنك كنت سببا لكل ماحدث لها لأننا علمنا خلال بحثنا أنك كنت هدفهم الرئيسي وكل ماتم معها كان إعدادا لتلك الخطوة والذي أيضا من خلاله حققوا لأنفسهم مكاسب لابأس بها عن طريق تجنيدها لديهم وتكليفها ببعض المهام القذرة والمقززة.

لذلك أرسل إليك ومرفق مع خطابي هذا رسالتها الأخيرة إليك-.

- كأن ما بالداخل انتقل للخارج ليرسم هذا المشهد المهيب. كان غريبًا والتوقيت أكثر غرابة. كان اتحادا خرافيا بين الانسحاب والوحدة، صورة تستحق أن تلتقطها وتتأملها وشعور يستحق ألا ينُسى!

جلس أرضا شاردا وهذه المرّة لا يدخن ولا يحاول أن يَسكر أو ينسى، أراد أن يجبر نفسه على التذكُّر. .

ظل يقرأ السطورالكثيرة في الورقة التي يمسكها بأيد مرتعشة بتباطؤ عله يستوعب:

-إلى الغريب وما أغرب منك إلا المكتوب،

لم أعد أفهمك أيها الغريب أو أفهم إحساسي تجاهك، وأشك إن كنت تفهم إحساسك.

لازمت توجيه الطعنات وداومت أنا على تلقيها مستسلمة علَّها تقضي عليّ وأنتهي ولكن هيهات أن تفعل الطعنات شيئا لمن مات سلفا.

ودعوت ربي، أن يحيي قلبا قد قُتل غدرا قهرا!

واجهتك بالصمت لكنك لم تفهمه فللصمت معانٍ وحكايات لن يدركها إلا من يرى بقلبه ولكنك لم تمتلك يوما قلبا!

ولذلك قررت ألا أعذب نفسي من أجل مخلوق يعاملني وفقا لأهوائه. إن كنت أحببتني كنت ستفعل ذلك كل يوم رغم التقلبات كان سيبقى بيننا شيء، لو كنت أحببتني بصدق ما ارتضيت أن التلاعب بي كعروس الماريونت وتنقلني بين قطبين تفصلهما هوة هائلة!

اليوم أودعك أيها الغريب. .

وسأخط نهاية قصتي دون ان أتطرق إلى الفصل الذي يكتبك-.

أيلا

اعذرني على الإطالة وعلى الرسالة ولكن وجب أن تعلم أنها بمجرد أن بدأت في التعافي حتى أخذت تتحدث عن نفسها بصيغة الغائب، فقالت، وكأنها تتحدث معي عن فتاة أخرى، صباح يومها الأخير:

- لم يعرف كيف يحبها ولكنه أحب حبها له. يتنقل من هذه لتلك برشاقة راقص الباليه يؤدي فقرته ثم يذهب لبيته بعد انطفاء الأضواء غير عابئ بالقلوب الدامية خلفه، يشعر بثقة وأمان ولا يدرك أن القدر لا يُعبَث معه وسيجمع جراح تلك القلوب ليصنع السوط الذي سيودي به. وحينما اضطُرّ إلى الاختيار ضحى بما لا يهوى من أجل ما يهوى واكتشف أنه ما لا يهوى. وهي، استمرت في ذلك الطريق المظلم مدركة تمام الإدراك أنه لا يوجد سبيل للعودة دون أن تكون متسخة الفؤاد بآثار السم الذي يبخه فيها وسيدمي جلدها الناعم تاركا علامات النخر والجراح فيه. حالها معه حال الغارق في فوضى بين المنطق واللا منطق واقفا على حافة هي شعرة بين المجازفة غير المبررة، سوى أن الفضول هو المحرك، وبين البرود. تنطلق وهي ترى النهاية بوضوح أمامها ورغم ذلك مستمرة!

كانت دوما تفكر ماذا سيكون حالها إذا افترقت عن أحد أحبائها، فكانت تحيلهم إلى أموت حتى تخفف من الهلع الذي يصيبها عندما تتخيلهم وقد تخلوا عنها وذهبوا لآخرين! فنحن على استعداد لتقبل واقع فراق الأحبة للحياة بأكملها على وجودهم في أحضان غيرنا وأدركت أن أقسى الطعنات هي التي لا تقتل!-.

ثم فاجأتني يوما مفسرة سر تحولها الكئيب رغم بدء التعافي وبدون أي مقدمات:

-من أصعب الأشياء التي يمر بها الإنسان أن يثق في مجرد كلمات ومشاعر مزعومة بعد التعرض للعديد من الجراح التي نزفت لها جوارحه كثيرا وأفقدته الثقة فيمن حوله، فيؤثر التألم وحيدا ويتجاهل مشاعره لأنه لم يعد هناك متسع لجرح جديد ويقف حائرا معذبا بين مشاعره وأزمة ثقة فيُحال إلى شخص ساخط وباهت-.

فقامت وتوجهت نحو المرآة وأخذت تبحث عن أثر هذا الشعور الذي باغتها على قسمات وجهها وعندما رأته كسرتها واستدارت راحلة.

واستيقظت في اليوم التالي ووجدتها غارقة في دمائها وبجانبها رسالتها إليك.-

المُخلِّص

انتبه لطرقات على باب غرفته فحاول أن يستجمع قواه وقام بصعوبة شديدة، فالأرض كانت تدور به ورأسه مثقل مسكر وقلبه ملتاع، وضع يده على المفتاح وأداره ببطء ثم أدار المقبض وانفتح الباب فإذا بهالة أمامه.

يا إلهى ما أقسى سخرية القدر!

****

انتقام

مدت يدها لتمسح دموعه برفقها المُعتاد، وما أن لامست أناملها وجهه حتى شعر بشبكة أعصابه المُغذيِّة لجسده تتيبس وكأن تيارا كهربيا عالي الجهد أصابها فاحترقت! فأمسك بيدها فجأة ليبعدها عنه قبل أن تقتله، فابتسمت له وتساءلت عن سر بكائه ولكنه تحجج بأنه تذكر والدته وأنه لم يسعفه الوقت ليعوض ما فاتهما طوال السنين الماضية.

ثم تدراك الموقف متسائلا عما تفعله في منزله.

- وهل يعني سؤالك أنه غير مرحب بي هنا؟ وأنك لم تفتقدني؟

- لم أقصد ولكني لم أتوقع زيارتك حتى في أكثر الأحلام خيالا.

- إذن فأنت فقير الخيال.

باغته ردها السريع.

كم تغيرت هالة، أصبحت أكثر ثقة بنفسها، أكثر جرأة حتى في نظراتها ونبرة صوتها الدافئة، لم تعد عيناها تزيغ عنك بل صارت تتحدث وهي تنظر إليك مباشرة، تبدو غير مهتمة أو متعاطفة وكأن جزءا من مشاعرها ذاب أو كأنها أجبرت جسدها على إرسال ما تريد وليس ما تشعر ومع ذلك ازدادت جمالا وجسدها صار أكثر أنوثة وجاذبية.

قالت بعد أن جلست على حافة السرير واضعة ساقًا فوق الأخرى في حركة مغرية فانكشفت ركبتاها اللتان تشعان نورا وكأنهما قطعتان من المرمر:

- ماذا أنجزت في حياتك في السفر؟ أنت لا تبدو بخير، صرت هزيلًا غير مهتم بمظهرك كما كنت في السابق، بل تبدو كأنك خرجت من السجن للتو،

صارحني سأستر عليك، هل سجنوك في الغربة ولم يتحملوا لسانك؟!
قالتها وضحكت ضحكة رنانة، ورغم أنها كانت تسخر مني إلا أنني لم أستطع طرد فكرة الانقضاض عليها ونهل كل ما أستطيع من نورها وشهدها, فقلت:
- لا لم يحدث ولكن ماذا فعلت أنت؟ فعلى النقيض مني تبدين على خير ما يرام.
- نعم، لقد عملت في إحدى الشركات الكبرى وأتممت الماجستير ثم الدكتوراة وبالطبع حصلت على ترقية تلو الأخرى حتى وصلت إلى منصب إدارة أحد الفروع وأتعامل يوميًا مع مختلف الجنسيات وأسافر إلى العديد من الدول الأوروبية والعربية لعقد الصفقات ومن أجل بعض المرح أيضًا.
- إذن أنت في إجازة الآن؟
- بالتأكيد، فأنا لست يزيد، أزور أهلي مرة أو مرتين كل عام كلما سنحت الظروف.
- ولم تتزوجي؟
- ولماذا أتزوج؟ أتريدني أن أجلب لنفسي البلاء وأتورط مع شخص يَغيِر من نجاحي ويحاول أن يسلبني ما وصلت إليه ويدخلني قفصه ويغلق عليّ ليبعد عني الأعُين لأكون له خادمة مخلصة بالنهار وغانية بالليل! لا أظن.
تفاجأت من كلامها حتى إنني لم أستطع ان أعقب، بقيت محملقًا فيها كالأبله، حقًا لا أعلم من تلك المرأة التي أتحدث معها، فأنا حبيبها الأول والوحيد (هذا ما تمنيته) لم أستطع التعرف عليها، هل أنا ما فعل بها كل ذلك مثلما قتلت أيلا بعد أن عذبتها معي سنوات؟ هل أنا حقا أشعّ سمًا فأقتل كل من يقترب مني؟ حتى أمي ماتت عندما أتيت ولم أدركها وهي

في أنفاسها الأخيرة، لم تسنح لي الفرصة أن أعوضها ولو قليلا، بل لم أحاول أن أفعل أي شيء لأي منهم، أنا من فعلت كل ذلك.

قامت هالة لترحل فاستوقفتها:

- لماذا جئت يا هالة؟

فاستدرات لي متباطئة وقالت:

- لأتشفي فيك يا يزيد. .

لأرى حب عمري وهو يشبه الأموات. .

لأرى وجهك المتغطرس الذي تركني لسخرية أهلي وتعجب كثيرا لماذا ابتعدت عنه فجأة!

فجأة بعد سبع سنوات تحملتهم معك، لم أعارض أفكارك ولكني قُتِلت بأنانيتك. .

أردت أن تثبت للجميع أنك الوحيد الذي يرى.

الوحيد الذي لديه عقل يفكر ويحلل.

وضحيت بي وبكل ماجمعت من نقود على سهراتك وجنونك وشرابك.

اليوم جئت لأثبت لك أنني أيضا أملك أفكارا متحررة ولكني غيرك، أشعر بالمسئولية والآن الجميع يحترمني ويحترم عقلي قبل أنوثتي، ويشهد لي بأنني كنت على صواب عندما سعيت خلف طموحي ولم أسع خلف -عريس- يُعطي له الحق بموجب أعراف المجتمع أن يدمرني ويتحكم في كالدمية.

جئت لأنتقم منك يا يزيد.

لأريك الفارق الكبير بيننا ولأثبت لك أن نفسك كبلتك وأشكرك لأنك حررتني. .

خرجت وأغلقت الباب وانطفأ معها آخر أمل لي في النجاة.
-وبعد انكساره في عينيها وبعد السقوط، قررت أن تغلق البوابة التي يطل منها فيمتص ما تبقى لها من قوة، وشعرت بأنها شقت وأخرج منها الحشا، فماتت موتا على موت ولكنها عادت تحث نفسها على الالتئام والاستمرار في مسرحية القلب المتحجر والصمود، وأخذت تردد:
-من مات في الحب يوما لا يموت. -
لم يسعدها الانتقام ولم يضفِ عليها الراحة والسكينة، العكس هو ما حدث وظلت هالة في حالة من الاكتئاب الصامت، تنام بالأيام ولا تشتهي الطعام والناس. فمهما كان وصار فيزيد هو من أحبت بصدق وحملت له في قلبها حزنا على حاله أكبر من غضبها عليه. ولأنها لم تعتد على سواد القلب وتغذيته بالأحقاد والضغائن، فكانت محاولة كسره سما تسلل بين ضلوعها وأمرضها.
وفي يوم استيقظت باكرا، وقررت الرحيل، الرحيل في الحال.

****

الخيوط تزداد تشابكا ويزداد معها إحساس التيه ويزداد التوتر والاضطراب, بعد حديث صابر الطويل أدركوا أنهم أمام مؤامرة علمية عالمية بشكل ما، ولكن مازالت لديهم أسئلة لا حصر لها، وأكثر ما كان يخيف يزيد هو -جنون العلماء- وخطاب أيلا جعله يبحث عن إجابات الألغاز التي وردت في رسالتها، فهو لم يستطع إدراك حقيقة ما مرت به، يبدو مقيتا، مقززا ولكن بدون كُنية واضحة وقرر أن يعرض الأمر على صابر فبرغم تناحرهما المستمر إلا أنه يثق في عقليته ويثق في قدرته على مساعدته.
شعوره بوجود رابط بين ماحدث لأيلا وما يحدث معهم لا يعتريه الشك

خصوصًا بعد معرفته بأن أيلا كانت المعبر إليه. وبالفعل جلسا سويا دون أن يُطلعا منار على الأمر والذي فاجأه أن صابر كان يمتلك بعض الإجابات وحينما رأي صابر نظرة التساؤل والاستغراب في عيون يزيد أجابه قبل أن ينطق لسانه بالسؤال المتوقع:

- لقد قمت ببعض الأبحاث ووجدت أن الأمور كلها مرتبطة، كلها في نهاية الأمر خيوط شبكة واحدة ولكن بأوجه متعددة، وكأنها ناتج تهجين الأخطبوط والثعبان والعنكبوت!

سأحاول أن أبسط الأمر وألا أستفيض في الشرح لأنها أمور متشابكة ومعقدة ولا أريد أن نفقد نقطة ارتكازنا وتركيزنا.

هناك مشروع يُدعى -هارب - HAARP - أعلم أنك سمعت عنه، هذا المشروع له تأثيرات متعددة منها:

خلق تأثيرات غير طبيعية في الغلاف الجوي للأرض كالتلاعب بالمناخ وبالتالي التأثير على الأنماط الطبيعية للهجرة البرية، ويمكنه التلاعب بكل وسائل الاتصال في العالم، والتأثير على صحة الإنسان وتدمير العملية الذهنية له، بمعنى أشمل هذا المشروع يتلاعب بالبيئة وبكل صورها حية.

-هارب- مشروع مشترك بين القوات الجوية والبحرية الأمريكية ، حسب ما ذُكِر، وتعتبر ألاسكا أول قاعدة له، من أجل البحث عن تكنولوجيا أسلحة جديدة، لذلك أرى أن الأسلحة النووية لم تعد بتلك الأهمية، فنحن أمام ما هو أخطر وأقل جذبًا للأنظار منها. المشكلة تكمن في ارتداد الموجات التي تنبعث منه لتخترق كل شيء ومنها أجسادنا فتنتشر بيننا أمراض وأوجاع لا نجد لها سببا واضحًا أو علاج محدد لأننا ببساطة غارقون في كل هذا، فهو حصار من نوع جديد، فإن ظننا أننا أحرار حقًا، فهذا كله مجرد الجزء من

الخطة الذي يُضفي عليها السرية بل والشرعية أيضا. لذلك هذا المشروع يعتبر ضد الإنسانية ويعد من الجرائم العظمى لأنه يؤثر على كيفية تفكير وشعور الإنسان وذلك من خلال ضبط تردد تلك الموجات ليبدأ في التعامل مع الأعصاب والمخ.

هل تستوعب خطورة هذا الكلام؟ هذا يعني القدرة على خلق كوارث وإبادة أمم دون العثور على دليل إدانة واضح ودون معرفة الاتجاه الذي يجب أن توجه إليه أصابع الاتهام.

ظل يزيد مشدوهًا وكأنه يبحث بعينيه عن حل الفزوة التي يسردها صابر، وربما كان ينتظر الجزء الذي يضحكان فيه حتى يسقطان على الأرض حينما يكتشف أن صابر يمزح معه، ولكن وجه صابر ظل جادا، متجهما يحاول التركيز وترتيب أفكاره بشكل يُسَهِّل على يزيد الفهم.

الفكرة كما قرأت تعود إلى المخترع -نيكولا تسلا- و-علمه المجنون- لأن فكرة تمكن -البشر- من إرسال موجات مختلفة من الطاقة إلى الكون ببساطة وبدون حاجة إلى الأسلاك كارثة حقيقية، وهذا ما وصلنا إليه بالفعل.

فالموجات ذات التردد المنخفض للغاية تستطيع التداخل مع الخلايا العصبية للمخ وبالتالي التلاعب به! كما وجدت أن العديد من اختراعات تسلا قد سُرِقَت منه ونُسِبَت لعلماء آخرين حسب ادعاء البعض، ولكنه لم يهتم وقال:

- لا أهتم إن سرقوا فكرتي، بل مايهمني أنهم لا يملكون أي أفكار خاصة بهم-.

و لست أدري إن كانت سرقة هذه الاختراعات تمت باتفاقات سرية حتى يتم التستر على الاختراع الأكبر الذي كان يعمل عليه أم أنها سرقت منه

بالفعل ولم يهتم لأن ما كان يعمل عليه كان أعظم وأكثر تأثيرا بل وتدميرا أيضا. ولكن ما يهم الآن محطة القتل الصامت أو القتل البطيء التي وصل إليها العالم اليوم ولا أحد يحرك ساكنا جهلا أم عجزا، لا أدري فكل الأمور متشابكة وضبابية بشكل يجعلها تبدو متاهة صنعت بلا مخرج.

ولكن، هذا كله يعيدنا إلى ما ذكرته سابقا، مازلنا نتحدث هنا عن التلاعب بالكون وبصحة الانسان، ماعلاقة هذا بأيلا؟!

صمت صابر مترددا. لم يكن يدري كيف سيقبل على هذا الجزء أمام توتر يزيد والرعب الذي ازداد حجمه في عينيه حتى تراءى له كوحش يريد أن يلتهمه. نفض عن عقله هذا الخيال الذي يتسبب دوما في تشتيته، غمغم بكلمات غيرمسموعة ثم اعتدل في جلسته وقال:

- هل تتذكر ماوجدته خلال بحثك، هل تذكر تلك الأسماء:

MUKULTRA، MONARCH

- أذكر MUKULTRA فقط. ولكن. . .

- استمع إليّ جيدا، فما سيقال الآن، الله وحده يعلم حقيقته وصحته ولكني سأنقل إليك ما وجدت.

العالم، عالمنا الفاني التعيس، مسيطر عليه مجموعة كبيرة من -الأخويات- تحمل مسميات مختلفة في جميع دول العالم بلا استثناء، سيطر عليهم في بادئ الأمر فكرة خلق السعادة اللا نهائية للإنسان ولكنها سرعان ما تحولت إلى رغبة جنس بشري بعينه في إخضاع العالم أجمع.

بدأت في بريطانيا ثم أمريكا وبالطبع أتحدث هنا عن المقار الشائع ذكرها ولا أعني أنها محصورة في هذة البلدان دون باقي دول العالم البائد.

تمتلك الأخويات من -الماسونيين- إلى -المتنورين- إلى الأخويات التي بُثَت

في العالم العربي من خلال زرع عناصر لها تأثير بالغ على هذه المجتمعات، محفل تقام فيه المراسم المظلمة والمقززة أيضا. اعتمدوا على ديانات مصر القديمة، بابل، اليونان والهند وأسموها علم الغيب أو القوى الخفية.
ولكني لست متأكدًا إن كانت هذه ذات تأثير حقيقي أم أن كبارهم يوهمون بها باقي الأعضاء ليضمنوا منهم الطاعة التامة والولاء المحصن من الشك.
يعتمدون في مراسمهم التي عن طريقها يغتالون عقول وإرادة من يجندوهم على سياسة التعذيب والترهيب لخلق -صدمة- واستخدام بعض العقاقير التي تؤثر على الإدراك وتسبب الهلوسة والتنويم فتكون النتيجة الاستعباد الكلي للعضو الجديد. وأعتقد أن هذا ما تعرضت له أيلا.
بدت على يزيد الدهشة وصار يصرخ ويلعن ويسب صابر وكأنه من فعل فيها كل شيء. وحاول صابر امتصاص غضبه وحالة الهياج التي انتابته لأنه يشعر جيدا بما يمر به، فهو بدوره انتابته العديد من الأحاسيس المختلطة حتى إنه فكر مرة في الانتحار حتى يتأكد أن كل شيء سينتهي بل ولم يحدث قط، فقد كان على أتمّ الاستعداد أن يكتشف أنه أصيب بالجنون على أن يصدق ما يجده في طريقه ويدخل عقله مطرقة تحطم ما تبقى منه.
وبعد صياح وسباب جلس يزيد أرضا وأخذ ينهج بشدة. حاول استعادة السيطرة على أعصابه لأنه يريد أن -يعلم-، لأول مرة يريد حقًا أن يفهم ما يجري.
استطرد صابر قائلا:
- المتحكمون الرئيسيون هم اليهود الصهاينة ومنهم من يعتنق ظاهريًا المسيحية، ربما لأنه غُصِب على اعتناقها قديمًا وربما ليسهل من عملية اختراقه الصفوف البشرية، وفي الباطن يعبد -الكائن النوراني الهابط من

السماء- -Lucifer-، أو -Satan- كما يطلق عليه -المتنورون- وما هو إلا إبليس. اهتموا كثيرا بعلم -تحسين النسل- والتحكم في الصفات الوراثية ليخلقوا أجيالا بصفات محددة وتنحدر من سلالة دم عالية المواصفات ليصنعوا معهم -النظام العالمي الجديد-. وكما ذكرت سابقا أنهم يلجأون إلى مراسم شديدة الوحشية لا يستطيع تحملها الكثير، ومن هنا بدأت سلسلة هذه البرامج وتطويرها والمبالغة في الاهتمام بعلوم دون غيرها ومع هذه السلسلة تعددت الأسماء والأحداث: -بلو بيرد-، -ارتيتشوك-، -ماكآلترا- الذي استخدم عدة سبل للتحكم في التصرفات البشرية وإخضاعها تماما للأوامر التي تتلقاها منها على سبيل المثال، استخدام الموجات، الصدمة الكهربائية، الطب النفسي والعقلي، علم الاجتماع، مواد كيميائية ومواد عسكرية بالإضافة إلى ال- LCD-، تعِرف هذه المادة طبعًا فهي منتشرة للغاية.

شعر يزيد وكأن صابر يوجه إليه أصابع الاتهام والإدانة وكأنه كان معه في أزمته عندما كان في أمريكا، وشعر بغصة تجتاح حلقه والجفاف يأكل جداره وكأنه يتحلل ببطء من الداخل فانتفض ليشرب بعض الماء وينقذ نفسه من هذا الألم.

عندما عاد يزيد وجد صابر يبحث عن شيء ما في الأوراق التي أخرجها للتو من حقيبته الجلدية التي اعتاد على حملها معه من وإلى العمل وكثيرا ماكان يراها معه نظرا للقاءاتهم التي كانت كثيرًا ما تم فجأة.

-هذا بالضبط ما كنت أبحث عنه!-، صاح صابر مُهللًا.

نظر إلى يزيد فوجده ينهج وينظر إليه في توجس واستجداء من يقول -كفى مصائب وكوارث ماذا يوجد أكثر من ذلك- فقال له:

- هذا ماحدث لأيلا تحديدا: - MONARCH - أو - MONARCH BUTTERFLY -، هذا البرنامج يعتمد خلال عملية التناسخ، التي يقنع بها الضحية، على غرس فكرة تحول الروح إلى فراشة، التي هي رمز للانسلاخ!

أما -الماريونيت- وهي الدمية المربوطة بخيوط في يد المتحكم فيها أو صاحبها وسيدها، وهذا المشروع تحديدا يوصف بأنه يعتمد التفكك المنظم، لقدرته على تقسيم العقل إلى غرف تحوي عدة شخصيات مختلفة، وذلك يتم من خلال طقوس معينة ودقيقة ترجع إلى الكابالا، والتي تنحدر بدورها من الطقوس اليهودية المنحرفة والسرية. وما جعلني أعتقد أن هذا ما تعرضت له أيلا هو طريقة سردها والألفاظ التي استخدمتها.

والفاجعة الأكبر أن الأسماء المتورطة في تلك الأمور لا تخطر على البال، أفراد منتشرون في كل مكان، فنانون، سياسيون، باباوات ورجال -دين- وحكام دول وليست فقط دول غربية.

خيم الصمت وكست رائحة الموت البراح فجأة، أصبح ثقيلا يطبق على الأنفاس وخيال أيلا لا يغيب عنه، يراها ملقاة بلا ملابس على لوح خشبي ومن رأسها تخرج الأسلاك ومن أذرعها أنابيب وتصرخ ثم تصمت فجاة وعيناها محدقتان في اللا شيء، جسدها ينتفض والعرق يتصبب من كل اتجاه، رآها كدجاجة مذبوحة بسكين ثلمة في نزعها الأخير.

سارت عملية إطلاع منار على الأمر بشكل سيئ للغاية بين تهكم وسخرية وصدمة وصراخ ولكنه كان أمرا محتوما غير قابل للجدل. وبعد ذلك جلسوا يفكرون في الهدف من وراء معرفتهم لكل هذا، فبما أن الأمر يبدو مخططا له بدقة وبما أنهم وصلوا إلى هذه المرحلة فلا بد أن هناك أمر ما مطالبون

به وإلا فما الجدوى من كل ذلك العبث!!
وبين اختلافات في الرؤى ووجهات النظر، قالت منار بسلاسة متناهية:
- أن نُبلِّغ. . فحسب ما استنتجناه إلى الآن، حسب مزاعمنا، أن آباءكم كانوا يسعون لكشف كل تلك الأمور، خاصة في بلدهم الأم لذلك تم اغتيالهم ولا بد أن هذا الأمر ليس خفيا عالميا ولكن يتم تناوله من باب الخرافات وإعلام الأكشن، فمنها دعاية للأمر ومنها خطة دفاعية من نوع جديد وبما أن الأمر تعود جذوره لماضٍ بعيد، إذن فالمشكلة هي أن يتم كشف الحجاب عنه في العالم العربي بشكل علمي وبالأدلة ليُحدث بلبلة في الرأي العام لمختلف الشعوب، ولا بد أن يتناوله الإعلام، لأنه طالما ظل الأمر بعيدا عن الميديا، سيظل في نطاق التخاريف والأساطير والإثارة.
ولكن كيف سنقوم بكل هذا ومن سيعيننا ومن سيحمينا بل والأهم من سيُصدقنا؟
أجاب صابر:
- لقد عثرت على مجموعة من الكتب غير مصرح بطباعتها لأناس من داخل تلك الأحداث يتحدثون عن كل تلك الأمور بتفاصيل غاية في الدقة لدرجة الرُعب حتى أنني شعرت بالإعياء وأفرغت ما في جوفي أكثر من مرة وأنا أقرأ فيها، لماذا لا نقوم بتلخيص تلك الروايات والاستعانة بالمعلومات التي تحويها كوثائق مجمعة نطبعها ونقوم بتوزيعها على أمكان بعينها وأناس سنختارهم بعناية منهم من يطمح في -البروباغندا- و-السبق الصحفي- دون إدراك حقيقي لخطورة الأمر أو يقين بصحته، ومنهم من لديه دافع حقيقي لكشف أي تهديد وأي جريمة ترُتكب في حق الانسانية باسم العلم.
-ولكن هذا لا يكفي.
أضاف يزيد:

- سننشيء موقعا إلكترونيًا ننشر فيه الأمر في صورة أفلام جرافيك وسنحاول الاستعانة بلقطات من أفلام حقيقية ربما نجح أحدهم في تسريبها، سنصور لهم ماهية الأمر مهما كانت المشاهد مؤلمة ومخيفة، ولكن الأمر يتطلب الحذر ويتطلب اختراقا لبعض المواقع السيادية لنوصل إليهم هذه الأفلام، حتى نضمن تكشفها بإحراجهم إن كانوا يعلمون عن الأمر ويتسترون عليه.
ولكن التلفاز أكثر أهمية من كل هذا، يجب أن يصل إلى العامة في البيوت في كل أنحاء العالم. .
قاطعته منار:
- وهل سيفهم العامة هذه التعقيدات؟ إن خرج عليهم أحد المسؤولين مصرحًا بأن هذه مجرد خرافات وهرطقة من جماعة منحرفة سيصدقونه على الفور!
- لن نخسر شيئًا، إن طرقنا على الحديد وهو ساخن وحاصرناهم من كل المنافذ، سنلفت الأنظار، ففي ظل الجدل القائم ليل نهار على الصغيرة والكبيرة على مواقع التواصل الاجتماعي في عصرنا هذا لن يكون الأمر عويصًا.
- إن تمكننا فعلا من القيام بهذا سنكون قد حققنا نجاحًا غير مسبوق، ولكني لا أعلم ما سر حماسنا الآن ومازال لدينا العديد من الشكوك وعلامات الاستفهام!
قالتها منار كمن عاد إلى الوقاع بعد رحلة غياب.
- يكفي أن نلفت أنظار العالم لأمور كهذه فنستحثهم على البحث والتأكد.
إلى الآن هناك العديد من الأحداث العالمية والوقائع العلمية وأبحاث مسجلة وبراءات اختراع وشهود من بريطانيا وأمريكا ودول أخرى يحاولون

كشف الأمر وتسريب بعض الصور ولكن لا يلتفت إليهم أحد، لأن حال الإعلام هذه الدول كحال الإعلام في جميع دول العالم، متواطئ ومُختَرق، بالإضافة إلى الكتب الممنوعة من النشر والأحداث والتواريخ التي يمكن التحقق منها، كل هذه الأمور تعُطينا إشارات على وجود احتمالية بنسبة لا بأس بها من صحته، فلنفعل ما علينا ونترك البقية لهم.

- وماذا إن كنا نحدث المزيد من البلبلة ونتحمل ذنب إشعال فتنة جديدة!! قالتها منار بعصبية. .

- نحن لا نوقع بين أبناء العالم العربي ولا أبناء البلد الواحد، نحن نحاول أن نُحذرِّهم ونحذر شعوب العالم أجمع من النقطة التي يقفون عليها، ونوجه أصابعنا إلى حافه الجرف الذي تأكل فيه الحيات أسفل منهم وهم غارقون ممرغون في الغفلة والكسل، نحن نحاول أن نوقظهم علهّم يستطيعون أن يُخرِجوا أنفسهم من الأقفاص غير المرئية التي سُجنِوا فيها كفئران التجارب، نحاول أإن نقول لهم كيف يراهم هؤلاء، كيف ينعتون سلالات دمائهم بالذميمة وبأنها لا ترقى لسلالتهم، وباقتراب ميعاد القضاء عليهم بقنابل عرقية بينما يشاهد أبناؤهم أفلام الكرتون والأكشن!

- حان الآن موعد قراركم، الأمر سيحتاج إلى وقت طويل للقراءة والبحث والتدقيق، ثم التصميم وعمل الأفلام، ثم البحث عن مكان وطريقة للاختراقات التي من المفترض أن نقوم بها بعد اختيار الأوقات المناسبة والأشخاص الذين من المفترض أن تكون كروت رابحة في هذه المغامرة.

استرسل يزيد وقد غمرته الإثارة للانتقام لأيلا من ناحية ومن ناحية أخرى ليقوم بشيء ما يجعله في نظر نفسه بطلا، عله يستطيع محو آثار الخزي الذي جلبه لنفسه ولكل من اقترب منه.

عل أمه تصفح عنه، عل أخيه يُرَد إليه. . . عله يتوب.

عضو جديد

يبدو أن الله قد استجاب لدعائه، فما حدث في ذلك اليوم لن يستطيع أبدًا أن ينساه، يوم اجتمع المتناحران.

دخل -عليّ - عليه ووجده مُقرفصًا على الأرض والحاسوب على السرير والأوراق متناثرة حوله في جميع أرجاء الغرفة. لم يشعر به واستمر في انهماكه حتى تنحنح مُعلِنًا عن وجوده بأدب، فانتبه يزيد ونظر خلفه ليجده واقفًا عند باب الغرفة مستندًا إلى الحائط وعلى وجهه ابتسامة لم يرها منذ عودته. لم يعرف كيف يتصرف أو ماذا يقول، وكأنه استشعر الحيرة التي انتابته فتقدم منه وجلس أمامه على السرير بجانب الحاسوب ومال عليه قائلا:

- أستطيع المساعدة، إن شئت.

تذكر يزيد أن رفيقه الذي يشاركه نفس سقف البيت بارع في المجال الذي يحتاجون إليه، فعليّ يعمل في مجال البرمجيات بالإضافة إلى تكليفه من قبل بعض الشركات بتصميم المواقع وبعض الخدمات الإلكترونية الأخُرى، بجانب دراسته المتخصصة في تكنولوجيا المعلومات بالإضافة إلى خبرته في مجال الاتصالات، فقد بدأ عليّ العمل منذ أن كان في المدرسة حبًا وشغفًا بهذا المجال، ولكنه لم يعلم إلى أي مدى وصل عليّ في هذا الشأن.

غمغم يزيد وحاول إخفاء عجبه، قائلًا:

- لا داعي أنا مسيطر على الوضع.

ليس على ما يبدو. .

ومازالت الابتسامة على وجهه ولكن هذه المرة لاحظ نظرة جديدة لم يعهدها من قبل، نظرة حنو وفخر لم يكن يدري سببها.
وضع عليّ يده على كتف أخيه وقال:
- أنا أعلم ماذا تفعل، وأظن أنني أستطيع المساعدة.
صُعِق يزيد وأغلق جهازه في عصبية وانتفض واقفًا وهو يقول:
- ماذا تقصد؟ ماذا أفعل؟
-اهدأ يا أخي- حقا قال أخي؟! -فأنا معك ولست ضدك، اجلس من فضلك وسأشرح لك الأمر، أرجوك-.
جلس يزيد، وما سمعه كان آخر ما توقع.
عندما جئت في ذلك اليوم ومعك ذلك الغريب الطويل، انتابني الشك والقلق، وبمجرد أن أغلقت الباب وقفت أتنصَّت إلى حواركما، اعذرني فأنا لن أُجَمِّل حقيقة ما فعلت وأقول أنني سمعتكما صدفة، واستمعت إلى حواركما الطويل وبعد خروجكما قمت ببحث طويل استمر لشهر كامل كنت أظل مستيقظا حتى الساعات الأولى من الصباح، فأنام ساعتين ثم أتجه إلى الجامعة.
وجمعت معلومات قد تفيدك، أنا لا أعلم إن كنت قد توصلت إليها أم لا ولا أعلم ما الذي تُخطط له تحديدا، ولكنني فخور بك وسأقولها صراحة، هذه أول مرة منذ سنين أشعر بأنك تؤمن بشيء، بعد أن كنت قد سلَّمت بأنك فقدت إيمانك بأي قضية وبكل شيء.
أردت أن أجعل الأمر دراميا وأكذب وأقول له أبدًا لم أخسر إيماني وأنها كانت مجرد ظروف وانتكاسة وأنك لم تكن تعلم شيئا عني وحقيقة ما أعانيه وما يدور بخلدي ولكني بدلا من ذلك، هززت رأسي موافقا ثم سألته:

- وهل تصدق ما سمعت وما أوصلك إليه بحثك؟
فأجابني بأنه -يعتقد- أنه على صواب.
-متى نضج أخي الصغير وأصبح يختار كلماته بعناية!! لقد فاتني الكثير بالتأكيد-.
- إذن سأجعلك تعرض ما توصلت إليه على باقي الفريق وحينها سيحدد الجميع إن كنا سنحتاج إليك أم لا ولا أحتاج أن أنبهك لخطورة الأمر وسريته، اذهب الآن وسأطّلعك مساءً على الميعاد.
نظر إليّ مبتسماً و نهض ليخرج وقال: -عودا حميدا أخي-.
أظن أنها علامة، لم يكن شيئًا من هذا سيحدث لو لم أختر الاستمرار، خطاب طارق، لقاء صابر ومنار، موت أمي، خطاب أيلا، هالة وحوار صابر داخل غرفتي في وجود أخي. لا شيء يحدث صدفة، الآن فهمت.
-كنت أرى أن الحياة غارقة في العبثية ودائمًا كانت الأرقام تتحداني لتثبت لي العكس ولكني كنت أصر لأثبت صحة نظريتي، القتل والحروب والغوغائية والكوارث، الحياة بملذاتها، الموت، التاريخ الممتلئ بالأكاذيب وتحريف الحقائق، الميديا والبروباغندا، القطعان المنومة التي تسير في الاتجاه الذي يوجههم إليه القلة المختارة التي قبضت على النفوذ والمال والسلطة.
المنحرفون، المجانين والعقلاء، من منهم الأكثر مصداقية. المؤمنون والملحدون، كيف هي الرؤية من موقع كل منهم. من أنا؟ من أي منصة أتحدث، من أين ينطلق فكري وأحلامي، هل هي ملكي أم أنها زُرِعَت مُسبقًا بأيدٍ خفية، فسلبت مني الإرادة الحقيقية ومنحتني وهم حرية الاختيار؟!
ولكن الآن، أصبح كل شيء مختلفا، كل شيء مخُطط له ومُعد بعناية بناءً على اختياراتنا. نعم لا يوجد شيء عبثي، عقلي هو الذي كان عبثيا ومشاعري

المتناقضة رفضت التوصل لاتفاق لتتعايش سويا فقَررَت اغتيالي عن طريق إشغال عقلي بالتمرد وحبسه في اللا شيء.
لم يكن لدي عدو سوى نفسي ولم أرد الاعتراف بذلك فجعلت الجميع أعدائي وأنا الداء.

****

هذه المرة اجتمعنا في منزل صابر، لأنه كان يعاني من الإنفلونزا التي أنهكته وظلت حرارته مرتفعة لأربعة أيام فأشفقت منار عليه واقترحت ألا نثقل عليه ونذهب عنده هذه المرة.
اصطَحَبت عليًّا الذي تحمس كثيرا، ربما لأنه شعر بثقتي به وبأنه صار رجلا يتحمل مسئولية شيء خطير كهذا. عرَّفته على منار وصابر وروينا له ما خططنا له دون الخوض في الكثير من التفاصيل نظرا لضيق الوقت، احترم بدوره رغبتنا ولم يقاطعنا بالكثير من الأسئلة، بل أنصت في صمت وتركيز وكأنه كان يُخَزِّن كل شيء في عقله. ولاحظت لأول مرة كم توطدت علاقتي بمنار وصابر وكيف تناغمنا في السرد فممن تغيب عنه معلومة هامة يذكره بها الآخر وكنا نضحك أحيانا من مواقف كدنا نقتل فيها بعضنا البعض سابقا، كما لاحظت سرعة بديهة أخي والسلاسة التي اندمج بها في مجموعتنا الصغيرة وكأنه كان معنا منذ البداية.
أراحني هذا الأمر كثيرا، وأسعدني أكثر عندما أطلعنا على قدرته على القيام بالاختراقات التي نريدها وبدأ يشرح لنا الأمر بصورة مبسطة:
-يعمل القمر الصناعي على مستويين، أولهما يتضمن عملية إرسال الإشارة من محطة الإرسال إلى القمر الصناعي وهذا هو مستوى ال uplink ويتضمن إعادة إرسال الإشارة أو ال retransmission من محطة الإرسال والأوامر

أو ال commands المرجوة، ثانيهما إرسال الإشارة من القمر الصناعي إلى وحدة الاستقطاب وهذا هو مستوى ال download link

التشويش يتم عن طريق استخدام جهاز يقوم بإرسال إشارة مشابهة في التردد للإشارة الأم فتغطي عليها ويستقبل القمر الصناعي إشارة المهاجم وليس الإشارة الأم أو عندما تستقبل محطة الاستقطاب إشارة المهاجم وليس الإشارة القادمة من القمر الصناعي.

أمامنا طريقان إما التشويش على مستوى ال uplink أو التشويش على مستوى ال download link . مستوى ال uplink يعد الأصعب لأنه يتطلب قطع الإشارة بين محطة الإرسال والقمر الصناعي، وهذا يتطلب أجهزة كبيرة في الحجم وتتمتع بقوة إرسال عالية كي تتمكن من قطعها، كما يتطلب تحليل الإشارة المنبعثة من محطة الإرسال إلى القمر الصناعي. أما مستوى ال download link فيحتاج إلى أجهزة تقطع الإشارة المنبعثة من القمر الصناعي إلى وحدة الاستقطاب وهي أجهزة متوفرة على الإنترنت يمكن شراؤها بسهولة، ويمكن إرسال أي إشارة نريدها، فيمكن أن نرسل أي فيديو تريدونه بدلا من رسالة المحطة التليفزيونية. ويصل مداها إلى ٢٥ كم،٢ فنعم يمكن أن تقوم بتغطية مدينة كاملة ولكن يمكن تعقب مصدر الإشارة أيضا، لذلك إن أردنا السيطرة على الدولة بأكملها في آن واحد يجب أن ننشئ قاعدة واحدة على الأقل في كل مدينة، ولا أظن الأمر قابل للتطبيق نظرًا لقلة عددنا، لذلك سنركز على المحطات الهامة والأكثر مشاهدة، كما يجب أن نترك مكان الإرسال سريعًا حتى لا يتم الإمساك بنا.

و أرجح أن ننفذ الأمر على مستوى ال download link لأنه أسهل من حيث إمكانية الحصول على الأجهزة والتنفيذ، ويمكنني الحصول عليها دون

أن يتتبع أحد عملية الشراء.
هذا هو الأمر ببساطة.
رحبتُ كثيرا بالفكرة كما رحَّبَت بها منار ولكن بدا القلق جليًا على وجه صابر، فانفردت به قليلا حتى أستفهم منه عن سبب قلقه.
-أخوك مازال يافعًا يا يزيد، هذا شديد الخطورة عليه وقد يقضي على مستقبله إن انكشف الأمر بالإضافة إلى الحماسة المُفرِطة في هذه السن والتي قد تؤدي إلى تكشُّف الأمر إن زل لسانه أو حاول التباهي أما أصدقائه.-
ولكنني أكدت له على نضج عَليٍّ ورباطة جأشه وأنه ليس من النوع المتباهي أو المتهور بالإضافة إلى أننا من البداية نُدرِك أننا نلعب لعبة شديدة الخطورة ونعلم جيدا أن احتمالية انكشاف أمرنا قائمة طوال الوقت ولا يوجد لدينا خط ما قبله آمن ومابعده خطر.
عُدنا إلى منار وعَليٍّ، الذي استشعر بذكائه ما يجري، فقال موجها كلامه إلى صابر:
-قد تكونون مجبرين على هذا الأمر أو قد تكونون متورطين فيه ولكنني أقوم بمساعدتكم لأنني مؤمن بدوري وأني مادمت -أعرف- يجب أن -أبُلِّغْ- مهما كان الثمن وإلا ستصبح حياتي بلا معنى-.
أطرق صابر ثم سأله عما توصل إليه، فأخرج له من حقيبة ظهره التي لم تكن تفارقه أينما ذهب، بضع أوراق، وأعرب عن استعداده للبدء وقتما نشاء.
حملت الأوراق العديد من المعلومات، الكثير منها يشابه ما توصلنا إليه ولكن بمزيد من التفاصيل، أطلعتنا فيها عن أنواع الضحايا أو -العبيد-، وارتفاع نسبة الإناث عن الذكور مُرجِعًا السبب إلى قوة تحمُلهن للآلام

التي يتعرضن لها خلال العملية، بالإضافة إلى استخدامهن في برامج التسلية وصفقات الإباحية والدعارة.

ذكرت الأوراق أنواع الضحايا. منهم من ينحدر مما يُطلَق عليهم -أسر شيطانية متعددة الأجيال- ويُطلَق عليهم -الأسلاف- ويَدخلون هذه البرامج كنوع من الواجب وتحقيق المصير كـ-مختارين-. أما النوع الثاني فهم اليتامى أو الأطفال ضحايا الاعتداء الجنسي، لأن الأذى الذي تعرضوا له مُسبَقًا يمهد الطريق علملية استعبادهم.

يتعرض -المُرشحين- لأنواع شديدة من الأذى تتنوع بين وشوم تُحفَر في جلودهم من رموز وصور بعينها كالفراشات نسبة إلى -فراشة مونارخ العملاقة-، وخلق ندوب وجروح بسكاكسن وإبر وبالكهرباء، وأحيانا بالكي.

كل هذا بالإضافة إلى عقاقير الهلوسة المختارة والصدمات الكهربائية والاعتداءات وكلما كانت البقعة المختارة أكثر إيلامًا، كلما كان أفضل. ولكن الجدير بالذكر أن -الأسلاف- أصحاب الدماء النقية يتم التعامل معهم بحرص شديد فجلودهم يجب أن تبقى نقية بلا علامات أو ندوب.

كما ذكرت الأوراق مستويات مشروع مونارخ، والذي نظن أنه المشروع الذي تم تنفيذه على أيلا، كالآتي:

المستوى ألفا: يتميز بتقهقُر شديد في الذاكرة مع ازدياد القوة الجسدية والحدة البصرية.

المستوى بيتا: البرمجة الجنسية والتي تمحو أي واعز أو قناعة أخلاقية سبق تعلمها.

المستوى دلتا: برمجة القاتل والتي يتميز أعضاؤها بالعنف الشديد، وتنفيذ المهام بصورة منظمة والاستعداد التام لتصفية النفس عندما يتطلب الأمر.

المستوى ثيتا: أو البرمجة النفسية من أجل إعداد أفراد بقوى تخاطرية، ويتم زرع أجهزة عقل إلكترونية واستخدام أجهزة قياس وتعقب معقدة.
المستوى أوميجا: أو الشفرة الخضراء والتي تُبَرمَج فيها الضحية على الانتحار حينما تتعرض للاستجواب أو تبدأ في العلاج وتبدأ في استعادة الذاكرة.
كأننا في أحد أفلام الرعب التي يصنعون فيها آليين مبرمجين ليقضوا بهم على العالم وعندما ينتهوا منهم، يجعلونهم يُدمَّرون ذاتيًا ليصنعوا نُسَخا مُعَّدلة بمهام جديدة. لا بد أننا في أحد هذه الأفلام، هذا لا يَمُتّ للواقع بصلة، لا يمت للمنطق إن لم يكن قد مات بالفعل ولم يعد هناك منطق بل وربما لم يوجد قط.
ألهذه الدرجة من الممكن أن ينحرف الانسان وأن يصله العلم إلى حد الخيال، وما هو الخيال، أليس من الممكن أن المحدود هو الذي يجعل كل ما يصعب عليه خيالًا وأنه لا يوجد فارق فعلي بين الواقع والخيال؟
الحدود التي رسمناها ذابت فجأة، بدت شديدة الهشاشة والسخافة بلا معنى أو مغزى حقيقيين وكأنها شيئًا اخترعناه حتى لا نفقد عقولنا.

****

بعد شهور من العمل الجاد والمُضني الذي تخللته العديد من الاكتشافات الصادمة والتفاصيل المربكة، والترنح بين انطلاق الأدرينالين في العروق والاكتئاب الشديد، أصبح كل شيء جاهزًا، قائمة بالأسماء والبرامج والمواعيد، نُسخ من الملخصات المُتفق عليها والتي تمت طباعتها داخل أحد الأكواخ الموجودة على الطريق أطراف المدينة، الأفلام والتي نالت القسط الأعظم من الجهد والوقت. وبذلك تبقى أمر أخير، وهو التنفيذ.
عليّ الآن في إجازة منتصف العام، ومنذ أن أنهى اختباراته وهو يعمل ليل

نهار، يشتري الأجهزة والأدوات المطلوبة ويقوم بتجميعها، يعد الخطط، وقضى أياما يشرح للجميع كيفية العمل بكل التفاصيل الممكنة.

****

البرد قارس، ورغم ذلك أصر على الخروج إلى الشرفة ساعيًا إلى تصفية ذهنه قليلًا، فالسهر لأيام متتالية والعمل المستمر بلا توقف أنهكه كثيرا وأوشك على الإتيان على ما تبقى له من طاقة.

المطر يهطل بغزارة، وهُيئ إليه أن العالم كله يبكي، الكل ينتحب على أعزائه وعلى ضيق حاله وكأنها جنازة جماعية لكل الشعوب، ازداد انقباضا وهمَّ بالدخول في اللحظة التي رأي فيها هالة وهي متوجهة ناحية سيارة تنتظرها أمام منزلها وفي يدها حقيبة وخلفها شخص مجهول له يحمل لها حقيبة سفر كبيرة.

إذن هي راحلة، في الوقت الذي بدأت أقوم بشيء ما يُحتسب لي في مواجهة العديد من الأفعال المأخوذة ضدي، ترحل وهي لا تعلم.

-هذا هو العدل-.

هكذا همهم لنفسه وانطلقت السيارة وعاد ليُكمل عمله.

عجيب أمرنا، نترك من نحب خلفنا، نقتلهم بدم بارد ثم نطالبهم بأن يتمسكوا بنا حينما تنعكس الأدوار ونصير ضعفاء منكسرين. بالتناقض نعيش ونخلق لكل فعل تبرير، ولنقيضه حجة بمنتهى الثبات، نغتر كثيرا بأنفسنا وننصب أنفسنا قضاة رغم الجرم، حماة رغم الجور، قديسين رغم الإثم.

لا أعلم كيف تتحملنا الطبيعة، فنفس الشجرة الفارعة، المنتصبة في ثبات واعتزاز تظل المجرم والضحية، ألا تستطيع التفرقة بين معادن البشر، ألا

يوجد فرق بين روائحنا وطاقاتنا فيصيبها البعض عند اقترابه بالذبول والآخر بالحيوية فتزدهر كعروس تزينت لحبيبها، أم أنه لا فارق بيننا والأمر يرجع إلى توافر الدوافع والظروف، فالقديس قد يتحول إلى مجرم في لحظة والمجرم قد يتوب فجأة.

لا أدري كيف تنظر إلينا الطبيعة، وإلى متى ستصبر على أفعالنا الشنعاء وجرائمنا التي لا تغتفر في حقها ولكني موقن بأن غضبتها ستكون قاضية بلا نقطة رجوع.

*****

شبح ذكرى

بدت المكالمة مختلفة هذه المرة، صوتها يحمل أشواقًا لم أعتدها جعلت القشعريرة تسري من أسفل رأسي حتى ذراعي، فتفتحت مساماتي فجأة وانتصبت كأنها تأخذ نفسًا عميقًا لتشبع من هذا الشعور الجديد.

مرت أكثر من سنة منذ أن اتصلت بي، وكنت بالفعل أشتاق إليها كثيرًا خاصة في هذه الأيام العصيبة، دائما أتذكرها فأذهب إلى كتيب الذكريات الذي صممناه معًا أيام الطفولة وأقلب صفحاته باستمتاع، بدون تسرع، وأحاول أن أتذكر الأصوات والروائح والمناسبات، أسرح بالساعات ولا أفيق إلا وأنا أضحك بصوت عال أو أبكي بحرقة الملتاع.

جاءني صوتها من قارة أخرى يهمس في أذني بحنان:

-اشتقت إليك-.

نور اشتاقت إليّ؟! هل أنا أحلم، ماذا حدث؟ ووجدت نفسي أجيبها.

-هل أنت بخير؟ ماذا بك؟-.

فضحكت كما لم تضحك منذ زمن وقالت:

- ماذا بك؟ هل اشتياقي إليك مرض؟

خجلت من نفسي، نعم أشتاقك نور، وأحتاج إليك وإلى حمايتك كما عودتني ونحن صغار. الحياة كانت شديدة القسوة معنا، أهدتنا شبحًا لا يرحل، لعنة تتجدد كلما تلامست أوتار أصواتنا، خيوط عنكبوت تُنسَج من عدم كلما تخلل الصمت أحاديثنا ليلتف حول أعناقنا فنختنق ويجعلنا نكره الذكرى وكل ما يجمعنا فنكتم الجراح بالبعد ونفترق.

تحدثنا تلك المرة كثيرًا، روت لي عن حياتها وأبنائها، كم هم متعبون وكم يذكرونها بنا ونحن صغار، وللمرة الأولى أخذت تلح عليّ لأسافر إليها وأزورها وكأنها ألقت إلى بطوق النجاة فوافقت بلا تردد واتفقت معها أنني سأرجئ تلك الزيارة قليلًا، متحججة ببعض الأعمال العالقة التي يجب أن أنتهي منها قبل السفر.

****

رغم الانغماس في العمل وعدم وجود وقت حتى لتناول الطعام، تآمرت الذكريات هي الأخرى ولم تكتف بأياد القدر وماساقتني إليه من طريق.
لماذا أتذكرها الآن؟ لقد كنت نسيتها تماما أو هكذا ظننت. فمن الطبيعي أن يصاحبني ظل أبي هذه الأيام نظرا لأنني أمضي في نفس طريقه ولكن الشاذ حقًا أن تأتي هي لتستبدل كل شيء وكل شخص وتجلس أمامي.
لقد ظلمتها حين أحبتني وهي الشخص الوحيد الذي قال لي -أحبك-.
لا أعلم علامَ أحبتني، ربما لأنني كنت بالنسبة إليها حلمًا بعيد المنال، أم أنها رأتني كما كانت تقول لي دوما -شخصية خارجة للتو من أسطورة-.
ورغم اشتياقي وتعطشي لهذا الشعور لم أستطع أن أحبها ولكنني سمحت لنفسي باستباحتها والتمتع بها. وعندما صارحت نفسي بالحقيقة وجدتني أكسرها.
كيف قمت بذلك لا أدري، لكنها عرَّتني، جعلتني أرى مدى خِستي، فانطلقت أصب عليها اللعنات بدلا من صبها فوق رأسي، وقسوت عليها بدلا من أن أجلد نفسي، فهاجمتها دفاعا عن نفسي من الحقيقة.
تظهر لي الآن أينما ذهبت، كأنها أرسلت شبحها لينتقم مني ويحدثني كل ليلة عنها. يظهر متهاديا، يتمايل في نعومة وأنوثة بالغة يناديني فأقترب ثم

يهمس لي قائلا:
- لن تحبك منار، فأنت لا تستحق الحب.
وأراها تضحك مني وتتراقص محتفلة بانتصارها الصغير.
لأنني ظلمت سلمى، لعنت بمنار.
ولكنني لم أُلعَن بمنار فقط، بل لُعنِت برحيل عفريت الطفولة الذي لازمني لسنوات طويلة يداعبني ويتبادل معي أطراف الحديث، يطبطب عليّ ويحتضنني عندما لم أجد حضن أم أو أب أحتمي بداخله.
لُعنِت بجفاف الكلمات، وشح المشاعر، لُعنِت بالوحدة، لُعنِت بالغرابة وعندما ظننت أنني وجدتها أخيرا، عندما استطعت الشعور من جديد، صفعتني الحقيقة بأنها ليست لي، وأرسلت إليّ سلمى لتُكمِل عذاباتي وتستغل الموقف لتنتقم لمشاعرها وجسدها الذي رسمت فوقه علامات قهرها وإذلالها.
وجهها مازال أمامي، بعينيها المشدوهتين ودموعها التي تسابقت في الهروب، صمتها المفاجئ وهي التي لم تكن تَكُف عن الكلام والضحك والمداعبة، لم تصدق كلامي:
- لا أريد أن أستمر معك، ليس ذنبي أنك أحببتني!
علمت أنها ظلت طريحة الفراش لأكثر من أربعة أشهر! وظلت تتلقى العلاج لأكثر من سنة. وبعد ذلك انقطعت أخبارها ولا أعلم أين اختفت.
سألتني صديقتها يوم حاولت تقصى أخبارها:
- لماذا تهتم، ألست أنت من ذبحها؟
نعم، أنا المجرم الأناني الجبان. جاءتني أكثر من فرصة لأبتعد عنها ولكنني آثرت تحميلها ذنب مشاعرها وأجبرتها على دفع الثمن!

أشعر بروحها حولي، تطلعني على أمر ما، فقمت مسرعا أبحث عن مفكرة التليفونات القديمة ووجدت رقم صديقتها، الجرس يرن، أسمع صوتها -آلو-، أتردد، ثم أجيب:

- معك صابر مندور، هل تذكرينني؟

صمت، ثم أخيرًا أجابت:

- بالطبع، وهل يُنسى القاتل؟

لم أنتبه لما قالت فقد اعتدت تهكمها عليّ، ثم تجرأت وسألت عن سلمى فقالت:

- أول مرة أجد قاتل يسأل عن قتيله بعد خمس سنوات من الجنازة.

- أرجوكِ أريد أن أقابلها مرة واحدة.

فقالت:

- إذن أمامك طريقين إما أن تنتظر موعدك أو تنتحر.

ثم وضعت السماعة.

الطنين يملأ المكان، يخرج من رأسي فينتقل لكل شيء في المنزل، كل شيء يطن.

ملعون. . ملعون إلى النهاية.

****

انطلاق

اليوم:
السبت، السادس من شهر فبراير.
-أنباء عن اختراقات مواقع سيادية في الدولة-
وتحميل سلسلة أفلام تحت عنوان -التَكَشُّف- وبثها عبر آلاف المواقع الإلكترونية-.
-التشويش على القمر الصناعي، واختراق القنوات التليفزيونية وبث أفلام مرعبة يقدمها مجهولون-.
-الحكومة تعبر عن استيائها وتنعت المسؤولين عن سلسلة الهجمات الأخيرة بالمخربين والعملاء-.
-الأزهر يصف المهاجمين بالمهرطقين والمجذوبين-.
-الصمت يخيم على الجانب الأمريكي، والكنست يوصي أعضاءه بتجاهل الأمر-.
-زيارة سرية وعاجلة لأحد الحكام العرب إلى البيت الأبيض-.
-أنباء عن احتمالية انعقاد مؤتمر قمة عربية خلال الأيام القادمة-.
-شعوب دول شرق آسيا تُعلِن استياءها من الحكومة الأمريكية والاسرائيلية وتدعو حكوماتها إلى اتخاذ قرارات حاسمة، وصمت تام يُخيِّم على روسيا-.
-وقفات احتجاجية يقودها صحفيون في نيويورك-.
-التوصل إلى مصدر التشويش وفشل التعرف على هوية الفاعل-.
-التحقيقات مستمرة من أجل معرفة هوية القراصنة-.

-توتر شديد يجتاح العالم والثورات مندلعة في مختلف أنحاء الكرة الأرضية وأنباء عن لقاءات سرية بين الرئيس الأمريكي ورئيس الوزراء الإسرائيلي، في نفس الوقت الذي ينتظر فيه الشعب الأمريكي تصريحًا من الرئيس حول حقيقة ما يجري-.

-علماء عرب يدعون إلى مؤتمر علمي ضخم لبحث ما ورد في الأوراق والكتب التي أرسلها مجهولون إليهم، وأنباء عن نشوب خلافات شديدة بين بعضهم-.

-الحرائق تندلع تلقائيًا في غابات كوريا الجنوبية ودرجات الحرارة تستمر في الارتفاع مع ازدياد أعداد الضحايا في العديد من الدول الأوروبية وعلى رأسهم فرنسا-.

-بحيرة تنجانيقا الواقعة في وسط أفريقيا مُهددَة بالجفاف -.

-وباء غريب يجتاح تركيا وعدد الضحايا يصل إلى ألفي قتيل-.

-الكرة الأرضية وصلت حد الغليان، رجال الدين في كل دول العالم يُحَذِّرون من اقتراب النهاية-.

-الخُرافات تنتشر كالنار في الهشيم بين سكان البادية وأخبار من بعض المواطنين عن رؤية أنوار تهبط من السماء-.

-زلزال مدمر يضرب دبي تسبب في خسائر فادحة في الأرواح والمنشآت-.

-فيضان -فامبير- يجتاح هايتي، وعجز تام عن حصر الضحايا مع ذهول الحكومة وصدمة المواطنين-.

-الرأي العام منقسم بين بطولة العصابة المجهولة وبين إدانتها في إشعال العالم وإخراجه من حالة الاستقرار التي كان يتمتع بها-.

-فضائح تخص شخصيات عامة من مختلف الجنسيات، وازدحام المحاكم بقضايا الشرف وقضايا الاعتداء الجنسي على الأطفال-.

-اختفاءات وتصفيات بالمئات وأنباء عن الإعداد لحرب عالمية جديدة-.

أخذ عليّ يقرأ عليهم الأخبار التي جمعها من مختلف القنوات والمواقع الإخبارية من مختلف دول العالم وسط ذهول منار وصمت صابر وابتسامة يزيد الصفراء.
وبعد انتهائه، أخذ نفسا عميقًا ثم قال:
- أتظنون أننا فِعلًا على مشارف نهاية العالم هذه المرة؟
فأجاب يزيد:
- وهل يُشَكِّل هذا فارقًا؟ ولماذا نهتم مادُمنا نوقِن أن هذا العالم البائس سينتهي عاجلًا أم آجلًا؟

فقاطعه صابر غاضِبًا:
- بالطبع سيُشَكِّل فارقًا، فإن كان العالم على مشارف الانتهاء فما الفائدة من وراء كل ما قمنا به وكل ما توصلنا إليه إن لم يجد الفرصة ليُحدِث أثرًا ملموسًا في العالم البائس؟! سيُحال كل ما قمنا به إلى عبث، كل هذا الوقت والجهد واللقاء، كل شيء سيبدو سخيفًا، وكأن الدنيا قررت أن تسخر منا وتثبت لنا أننا يجب أن نعيش ونموت خاسرين أذلاء.
- اهدأ يا صابر، لا تنفعل هكذا، يزيد لم يقصد أن يستفزك، فأنت تعلم أنه لا يعني بشيء وأنها كانت مغامرة ممتعة له بصرف النظر عن النتائج.
قالتها منار وهي تمطر يزيد بنظرات العتاب والغضب.
فأجاب مدافعًا عن موقفه:
- هذا ليس صحيحًا، ربما كان كذلك في بادئ الأمر ولكنني شعرت أخيرًا أنني أقوم بشيء ذي أهمية، كأبطال الروايات الخيالية وأنني لا أبعث سما يقتل كل من حولي، أو على الأقل لم أعُد ويكفيني أن أقوم بأمر ما مع أخي بعد أن خذلته مرارًا من قبل، لذلك لا أعبأ بأن ينتهي العالم الآن أو لاحقًا.
- اهدأوا أرجوكم، أعلم أن ما يحدث الآن أكبر من قدرتنا على الاستيعاب وأننا جميعنا تدور في خلجاتنا العديد من المشاعر المتنافرة بين الشعور بالذنب والشعور بالانتصار وأن العالم يرتكز الآن على حقل ألغام ينفجر منه جزء كل فترة وأن مايحدث رد فعل دفاعي عن تكشف الأمر.
ولا تنظروا إليّ هكذا، فلست بفيلسوف أو بقارئ أفكار، فأنا أصف ما أشعر به وليس لديّ أدنى شك بأن هذا أيضًا ما تشعرون به ولكن بنسب مختلفة تتأرجح بين الشعور الأول والثاني.
كل ما علينا القيام به الآن هو إخفاء أي أثر يوصل إلينا وأن ننتظر، كل منا

يستمر في عمله وفي حياته وننتظر هل سينفجر العالم أم ستستمر الحياة، وهل إن استمرت سيتغير شيء أم ستعود الأوضاع كما كانت، حينها فقط سنعترف بأن جهودنا راحت أدراج الرياح وأن البشر صاروا حالة مرضية ميئوس من علاجها.
نزلت كلمات عليّ عليهم فأصابتهم بالخدر وهدأ الاحتدام بين الجميع وذهب كل منهم إلى منزله محاولين العودة إلى السابق الذي كان. . كان ولم يعد.

****

المقابر الجماعية أصبحت شعار العالم الآن، بين كوارث بيئية وثورات ونزاعات قِبلية، تحولت الكرة الأرضية إلى حفل تأبين ضخم يمتد بين القارات ويحصد ضحاياه المترامية في كل اتجاه.
وشعور بالذنب يستفحل داخل منار، يضغط على أحشائها وعظامها وتشعر بأنها على وشك الانفجار من الداخل وتتخيل أشلاءها المتطايرة، كل قطعة تذهب إلى بلد مختلف لتعترف أمامها بالفاحشة المرتَكَبة في حق شعبها عله يغفر وتستريح.
في الجهل راحة لا يدركها إلا من جرب -المعرفة-.
باب المعرفة مثير عندما تفتحه، يتراءى لك ضوء متراقص في آخره، يستميلك ويدعوك لتنضم إليه ولكنه لا يُحَذِّرك من الثمن المطلوب، لا يُحَذِّرك مما ستدفعه لاحقًا من نوم شحيح وأعصاب مشدودة وآلام تهجم عليك وأنت غافل غير مستعد على الإطلاق. لا يحذرك من الصمت الذي سيُرديك شبحًا بين البشر ويسلب منك الرغبة فيما يرغبون، ويضيع طعم الأشياء التي انكشف زيفها ويهتت ألوانها المخادعة.

تقدم يزيد للعمل في إحدى الجامعات، بالطبع بمساعدة أخيه ومعارفه الذي فاجأه حجمها، وشفع له تفوقه في مجاله وشهاداته المتعددة والتي حصل عليها خلال عمله في أمريكا، فبرغم مقته لكل شيء آخر أحب الأرقام واختارها رفيقًا لدربه بإرادته الحرة.

واستمر عَليّ في القيام بالعمل الحر الذي اعتاد عليه بجانب متابعة الأخبار وتجميعها ليجلسوا جميعًا يحللونها في لقائهم الأسبوعي. وتحولوا إلى عائلة صغيرة غريبة، ولكنها ممتعة تحتوي على كم من التناقضات يجعل من يقف خارج الدائرة يضرب كفًا بكف، ولكنهم تآلفوا حتى أصبحوا يشتاقون لبعضهم. اختلفت رؤيتهم وكأن المنظار القديم تبدل بآخر نجح في نفض الغبار.

****

في إحدى المرات التي تقمص فيها صابر دور الفيلسوف، قال:

- نحن لا نرى حقًا بالعين، نحن نرى بقلوبنا، والعين هي مجرد بوابة للقلب يدخل منها النور والألوان والأشكال حتى تصل إلى القلب فيترجمها إلى معاني ورسائل، لقد حدث لنا شيء ما بين الضلوع، هزة ضربتنا في صميم الفؤاد فحوره وصار يترجم ما يستقبل بشكل جديد علينا وتبدلنا نحن معه.

فأجابه يزيد وفي عينيه بريق لم يعهده:

- ولكنني لأول مرة أشعر أنني أرى دربًا ما، وأنني غير حانق على أحد، أشعر بأهميتي وكيان أضعته منذ زمن. لا أعلم إن كان هذا شعور طبيعي أم إحساس مريض مد أحدهم إليه بدوائه الذي طالما بحث عنه، نعم الدواء له آثار جانبية فتاكة لكنه قام بالمطلوب وهذا يكفيني الآن.

أود أن أطلعكم على أمر آخر. .

لقد فتحت اليوم بريدي الإلكتروني وإذا بي أجد رسالة من هالة تقول فيها:
-لقد غفرت لك يا يزيد، ظننت أنني أستطيع العيش بهذا الشعور الأسود داخلي ولكنني لم أفلح وحينما أردت إذلالك لم أشعر بالرضا ومرضت طويلًا، لذلك أسامحك يزيد، ليس من أجلك ولكن من أجلي ومن أجل ما كان يوما بيننا. أسامحك والعالم اليوم ينهار وقد لا أجد فرصة أخرى لأطلعك عما بداخلي.
أسامحك وأرجو أن تسامح نفسك. . -.
لذلك فلو مت الآن فأنا راضٍ تمام الرضا، سأظل حاملا معي ذنب أيلا ولا سبيل لطلب الغفران منها الآن، لذلك أدعو الله، الذي طالما كنت أستنكر الصورة التي يُسَخِّر بها الكون ليفعل بنا ما يفعل، أدعوه وأرجوه أن يسامحني، عله يستجيب وعلّي أنجو.
أعلم أنه شعور أناني مني وأعلم أنكم تشعرون بالاكتئاب وبالذنب، ولكن ألست أنت يا صابر من حثنا على كشف الحقيقة؟ مايحدث الآن ليس ذنبًا ارتكبناه، ما يحدث الآن يتم بأيدي البشر الذين ننتمي إليهم، هؤلاء البشر يرتكبون الخطايا مثلنا، عليهم ما علينا وإن اختلفت الصور، هم من يقومون بالأمر الآن، هذه هي استجابتهم هم وليست استجابتنا، همجيون ربما، ولكن إن كنت تعلمت شيئًا مما حدث فهو أن لكل شيء سبب ولكل حدث ميعاد وعدة عوامل تتعاون من أجل وقوعه في ميعاه المحتوم.
كنت أظن أن الدنيا عبثية، بقدر عبثنا نحن، ولكني عكفت أفكر وأبحث طويلًا، وكلما حاولت إثبات أن عبث الدنيا ينطلق من مكمنها وباطنها أعادتني الأرقام إلى نقطة الصفر وأثبتت لي أن كل شيء محسوب بعناية ومفصل بدقة متناهية تتنافى مع طبيعة العبثية التي كنت أحاول إثباتها.
لذا، دعونا من هذه الحالة، ماحدث أصبح خلفنا حتى لو كانت آثاره ممتدة

حتى النهاية، فنحن اليوم وهو أوشك على الانتهاء ونكاد نضيعه هباءً.
وجلسوا يتحدثون عن أحداث الأسبوع في مرح، يحتسون أقداح القهوة ويتناولون الحلوى في تلقائية طفولية، وتناسوا لبعض الوقت ما يحدث خارج عالمهم الصغير.

****

بدأ اليوم بشكل روتيني، لا شيء مثير للريبة. قضى يزيد يومه منهمكًا في العمل وسط الأوراق والأرقام وتحضير المحاضرة التي سُيلقيها في مؤتمر الجامعة التي ألتحق للعمل بها مؤَخرًا. كانت الساعة على مشارف الرابعة عندما شعر بالإنهاك وقرر أن يُلملِم أشياءه ويعود للمنزل، وبينما هو يراجع أوراقه ويستعد للذهاب فإذا بحارس المبنى يطرق عليه الباب ويسلِّمه ظرفًا تركه أحدهم له عند بوابة الجامعة.
وكان من الطبيعي أن يعتريه القلق خاصة بعد ما حدث ومازال يحدث ولأنه لا يعرف أحدا هنا سوى صابر ومنار وأخيه وهؤلاء لا يحتاجون إلى مراسلته بهذا الشكل إلا إذا كانت هناك كارثة ما والظرف لا يبدو أنه مُرسل من الخارج لذلك قرر أن يضعه في حقيبته وسط أوراقه وأدواته وأن ينطلق صوب المنزل.
كانت الأمور مُيسّرة على غير العادة كأن الكون يحاول مساعدته، ألقى بنفسه داخل أول سيارة أجرة أشار إليها، وحاول أن يقاوم فضوله الذي كاد يأكله حتى لا يفتح الظرف ولكنه لم يستطع أن يتمالك نفسه ومزق الظرف في حذر ووجد بداخله ورقه صغيرة تقول: -قريبا سنلتقي-.
حقاّ! هذا فقط! وشعر بيده ترتجف في عصبية وغضب وحاول أن يسيطر على مشاعره حتى لا يثير شكوك السائق الذي كان منهمكا مع كلمات لم

يستطع تمييزها، تصحبها أنغام تبدو كطبول زار تحاول دقاتها أن تخُرج جنا من جسد ملبوس!
بمجرد توقف السيارة أعطى للسائق أكثر من أجرته وأطلق العنان لقدميه وكأنه يهرب من أمر ما أو كأنه يحاول أن يحول دون وقوع كارثة.
فزع عليّ من وجه يزيد الذي بدا وكأنه رأي شبحًا وقبل أن يسأله عما به مد يده إليه بالرسالة التي أفزعته ولكن رد فعل عليّ لم يكن على غرار ما توقعه يزيد. لقد ابتسم وتنفس بعمق وكأنه أخيرا استراح. وبالطبع استثار غضب يزيد أكثر:
- كيف تبدو هادئا هكذا! أتعرف شيئا أجهله!
حاول عليّ أن يهدئ من روع أخيه وفسر له سر هدوئه بكلمة واحدة:
- الأمر أوشك على الانتهاء. هذه الرسالة يجب أن تطمئنك أن من دفعونا في ذلك الاتجاه لم ينسوا أمرنا بل وسيلتقون بنا أيضا.
- ولكن بعد كل هذا الوقت وكل هذا الانتظار المرير الممزوج بالقلق والأرق والخوف تأتي رسالة مثل هذه وتريدني أن أكون هادئًا بل وسعيد أيضًا! من أين ورثت هذا الهدوء القاتل؟!
- لقد عشت بمفردي طويلا وفقدت أبي ثم فقدتك، وأمي كما تعلم لم تكن تتحدث كثيرا ولم تكن تستطيع التعبير عن مشاعرها وأفكارها، ورأيتها صامدة أمام الملمَّات والنكبات وأمام فقد الأحبة، لم تهتز ولم تبك ولم تشكو، بل ظلت جنديا صامدا في المعركة التي كانت تخوضها وحيدة فتعلمت منها الصبر والهدوء تعلمت أن أنظر خلف الستار الذي تتلحف به الأحداث، ولقنتني أهم درس لن أنساه ما حييت، وهو أن كل وراء نكبة ضوء، كل مايجب علينا فعله هو أن نتخطى النكبة لنصل إليه وغالبا ما يحمل إلينا أفضل مما نتمنى وعندما كنت أسألها ولماذا يختبئ خلف النكبات كانت

تجيب بسلاسة وثقة وكأن الله أفضى إليها وخصها وحدها بالسر دون باقي البشر: -لولا النكبة ما بحثنا عن الضوء واكتفينا بالأنوار المزيفة التي تحيطنا من كل اتجاه وارتضيناها خداعا لأنفسنا-.

صمت يزيد. هربت من مقلتيه الخيوط المالحة واحتضن أخاه بقوة ولم يفلته إلا بعد أن قال له مازحا أنه -سيقتله بالحب-.

رن جرس الهاتف وكما توقع وجد صابر على الخط الآخر يطلب منه أن يجتمعوا اليوم، وهو ليس موعد لقائهم الأسبوعي، ولكن جد جديد لا يحتمل الانتظار، وبالطبع لم يذكر أي منهما شيئًا لأنهم اتفقوا جميعهم على توخي الحذر وعدم التصريح بأي شيء عبر التليفون أو أي موقع من مواقع التواصل.

وكما استنتج، نفس الرسالة وصلت للجميع ولم يكن هناك خيار، فلننتظر مجددًا.

****

أعلنت إسرائيل الحداد على الأرواح التي أُزهِقت خلال تلك الفترة في جميع أنحاء العالم وأرجعت ما يحدث للعالم إلى الظلم المتفشي فيه، وأن الرب حمى اسرائيل لأنها ظلمت من الجميع، وبعد تلك التصريحات ازداد الغضب اتقادًا وشعب إسرائيل نفسه انقسم على نفسه وترددت شائعات عن وجود وقفات احتجاجية في القدس ولكن لم يعلن الإعلام شيئًا عن هذا الأمر.

انقلبت الوكالة التي يعمل بها صابر رأسًا على عقب، النزاعات تتصاعد بين إدارات الأقسام المختلفة وبين الإدارة الرئيسية والفروع المقامة في البلدان المختلفة، ولكن لا أحد يدرك يقينا سر هذه النزاعات التي نشبت فجأة

وأخذت تتصاعد ألسنة نيرانها حتى كادت تأكل كل ما بنى خلال الأعوام السابقة.
الأعمال جميعها اهتزت نظرا للكوارث المنتشرة والتي أضرت بالاقتصاد العالمي بشكل عام وباقتصاد الدول النامية والفقيرة بشكل خاص.
ومازال الانتظار سيد الموقف.

****

تضيء السماء ألوان بنفسجية متراقصة لم تستطع تمييز مصدرها، ولكنها بدت ممتدة من مكان بعيد، السماء تنشق ببرق مهيب وتنقسم إلى نصفين فيخرج من بين الشق العظيم، يسير حافيًا على لوح من الثلج، يتلألأ كلما تقدم عليه، حاملًا فرع شجرة تلتف عليه بضع وريقات صفراء يحبو عليها اللون الأخضر كلما ازداد الشق اتساعًا.
يرتدي عباءة سوداء وخلفه رجال عظام البنية يرتدون عباءات تلونت بزرقة السماء، صامتون ولكن حازمو النظرات، يحملون فوق -كفوفهم- الماء، يتشكل عليها بصور تتذكرها جيدا ولكن لم تستطع مجاراتها والتدقيق بها لتميزها.
لوح الثلج يذوب، ويتلون بلون الدماء ويغلي فتشعر أنها تختنق، أصوات صراخ تصدر من تحت أرجلهم ولكنها لا ترى أحدا، فقط عويل واستجداء بلا صورة. هبط هو ومن معه وخط بقدميه العاريتين، فكف الصراخ وأخذ لون الدماء يخبو، ومع كل خطوة للأمام تنشق الأرض فتخرج نبتة، واقترب منها وابتسم ومد يده إليها بالفرع الذي اكتسى بالأوراق الخضراء وبيده الأخرى مسح على خدها الأيسر فدبت الحياة فيه وأخذ قلبها يخفق من جديد، قامت من قبرها خجلى تحاول أن تستر عريها عن الأعين التي كانت

في انتظارها بالخارج، وظلت واقفة تحاول أن تتلفح بيديها حتى أقبلت عليها امراة وألقت على جسدها النحيل المرتعش ثوبًا نُسِج من شباك الصيد فاستدارت لترى من هي، فإذا بها نور.

وفجأة اختفى كل شيء وسمعت صوتا يناديها:

- أوشكنا.

لم تستطع منار نفض هذا الحلم من رأسها، وظلت تسترجعه على مدار يومها، فشعورها هذه المرة يختلف عن المرات السابقة واحساسها بوجود شخص ما حولها لا تراه يتضاعف حتى أفقدها التركيز ولم تتمكن من السيطرة على تلك المشاعر المختلطة التي أفسدت يومها. شعورها بوجود مفاجأة تنتظرها ضاعف حالة القلق التي كانت تمر بها، وباستلامها الرسالة الأخيرة لم تعد تشعر بأنها تمتلك القدرة على تحمل المزيد، وأخذت تلعن من أباح لنفسه ضج مضجعها وإفساد نومها واقتحام أحلامها وتشكيلها كما يحلو له.

ولم تقو على المقاومة أكثر من ذلك ووجدت نفسها تتصل بأختها وتخبرها بقدومها على متن أول رحلة. وبمجرد أن وضعت السماعة وجدت صابر يتصل بها وسمعت صوته المرتعش يقول: -يجب أن نلتقي-، وضعت السماعة وأغلقت عينيها وأخذت نفسًا عميقاً وهمهمت لنفسها: -إذن لامفر. -

تلك المرة وجد صابر أمام باب شقته ورقة تقول: -ستبدأون في الاجتماع من اليوم في مقر عملها بعد انتهاء يومكم وحتى ساعات الصباح الأولى وأنت من عليك إخبارهم-.

وأخذ يتلفت حوله، باحثا عن كنية الشخص الذي ترك هذه الرسالة وبالطبع لم يجد أحدا.

خطايا آدم

اليوم الرابع في سلسلة الانتظار المتفق عليه، الساعة على مشارف الثالثة صباحًا، وهم في ترقب لشيء لا يعرفون ماهيته.
وقع أقدام، تبادل نظرات يتبعه عدة طرقات على الباب.
ظلت فكرة قدوم أحد إلى مقر عمل منار في الثالثة صباحًا غريبة رغم توقعهم لحدوث الأمر. ففكرة زوار الليل لم ولن تكون مستساغة، ربما لأنها تخالف المنطق وربما لأنها تُذكِّرنا بكل خطأ يمكن أن يحدث متلفحا بستار الليل بعيدا عن أعين وآذان الناس. ورغم عشق يزيد للظلام ورغم أنه لم يعد يعبأ بشيء منذ فترة طويلة ورغم أنه في سريرته يشتهي الموت، إلا أن الغريزة البشرية تحركت بداخله وطاله التوتر، ولكنه هو من بادر بالقيام ليرى ما هي المفاجأة الجديدة. وإذا برجلان أحدهما شديد التأنق، راسم على وجهه ابتسامة عريضة والآخر يرتدي الكاجوال تبدو عليه العفوية وعدم الاكتراث.
صافحه المتأنق قائلًا:
- مرحبًا يزيد، أخيرًا وجها لوجه، معذرة نعلم أن الوقت متأخر ولكنه الوقت الأنسب، هل تسمح لنا بالدخول؟
لم يجبه يزيد، فقط أفسح له المجال وتقدم الأنيق ومن بعده الآخر ولم تغادر الابتسامة ثغره.
وإذا بطيف يمر من أمامها، يتركها مشدوهة، متجمدة كمن باغته الموت فهاله ما رأى.

بدا كمشهد سينمائي من مشاهد التصوير البطيء، ثم توقف فجأة.
نظر إليها صابر ويزيد في استغراب وحاولوا أن يجعلوها تستفيق من حالة التيبس تلك، ينادون عليها بصوت مبالغ في العلو، يمسك صابر بذراعها ليرُجّها رجًا دون جدوى، حتى كادوا يجزمون بأنها انتقلت إلى العالم الآخر، فمال صابر عليها واضعًا أذنه على صدرها فوجد النبض ملتزمًا بموقعه، لم يفارقه واقترب منها أكثر حتى يستشعر أنفاسها التي مازالت محتفظة بإيقاعها الطبيعي، ولكن جسدها مثلج وعيناها متحجرة لا تطرف.
أحاط بها -الغريب- المتباسط قبل أن يختل توازنها وأعانها على الجلوس على الأريكة في الوقت الذي قام فيه صابر بتشغيل المدفأة رغم حرارة الجو محاولًا أن يشعرها بالدفء علها تستفيق وسأل يزيد عن مكان المطبخ.
أقبل يزيد حاملا صينية بها خمسة أقداح من القهوة.
- أراك سارحا. . .
قالها يزيد وهو يبتسم في لؤم.
فانتبه صابر واعتدل في جلسته وقال محاولا التهرب من النظرات الفاحصة:
- ترى ماحدث لها؟
فنظر يزيد إليها وقد ازدادت ابتسامته الخبيثة:
- سنعرف عندما تفيق، اشرب قهوتك فحدسي يخبرني أن الليلة ستكون حاسمة.
أمسك السكون بتلابيب الوقت، حتى بدأت منار في تحريك عينيها، فاقترب يزيد بحذر، متلافيًا النظر في عين ذلك الغريب الذي يتعامل بحميمية مريبة معها، بدأ يحدثها:
- منار هل تسمعينني؟ هل تعرفين أين أنت؟

- طارق. . !

تسمرت نظرات يزيد وصابر على الغريبين ولم يكونا بحاجة للتمييز، فمنار لم تكف عن ذكر طارق والاستفاضة في وصفه، فوضع طارق كفه على وجهها، ورفعه إليه وعيناه تسكبان في وجهها الشاحب بالغ الحنان والاشتياق وشفتاه تكشفان عن ابتسامة رائقة، ثم قال: -افتقدتك كثيرًا-.

****

قبل أن أعرفكم بنفسي سأروي لكم بعض القصص القصيرة، وكل ما أطمع فيه هو أن تستمعوا إليّ ببعض الصبر وبعدها سأجيب على أسئلتكم التي أعرفها مُسبقًا.

لقد تملكه الطمع رغم الرخاء الذي مَنِح له ورغم الجنان، لهث خلف خلود مزيف واختار الهبوط وغرق هو وقومه في الزلل وابتلي بعضهم ببعض، يسيرون في الأرض مكبلين بأثقال من حديد تمتد آخر جنازير حديدية مضفرة مربوطة بأذرعهم وأرجلهم، يجاهدون، تكاد أنفسهم تزهق وهي تكافح في سبيل التقدم للأمام، مع كل خطوة يستمعون إلى صوت عظامهم وهي تكاد تتهشم، تتصبب قطرات العرق فوق جبينهم برائحة نفاذه عطنة.

كل منهم يسير مجرجرًا خطاياه خلفه، ويسيرون في قطعان مسلسلة، لا يلتفت أي منهم إلى أحد أو شيء، من يراهم يهيأ إليه أنهم لا يسمعون ولا يرون ولا ينطقون، هؤلاء من اختاروا أن يكونوا تُبّع مُسيَّرون في المطلق لا يفكرون، يخافون من ظل فكرة وصوت يصرخ معترضًا: -لا-، يرثون حالهم في صمت وهم الجناة والمذنبون، باعوا أنفسهم لأنفس ملعونات بحلم الجبروت والتحكم في الكون، لا يربأون عن ارتكاب أي شيء، مهما كان كارثيًا، فوضويًا، مدمرًا وخارجًا عن كل النواميس، يعقدون صفقاتهم مع

إبليس ذاته ويقدمون له كل قرابين الخسة والانحلال، ليعلو شأنهم فوق القطعان، خطاياهم لم تعد مجرد خطايا بل فواحش تخطت زلات الإنسانية وشهوات الحيوانية إلى ما ورائهما، إلى شيء لم يصنف بعد.
جذبتهم خطاياهم وخطايا آبائهم، لعنات سكبوها على أنفسهم وعلى رؤوس اهتموا بأمرها يومًا ما.
بنو آدم يجذبون ما يشعرون، ما يطمحون، مايخشون.
إنها خطاياكم أنتم، وجوركم، وترككم للزمام بيد نفوسكم، عدوكم الرئيسي فلا تلعنوا الشيطان قدر لعنكم أنفسكم، فلولاها ما تحولت وسوسته إلى جرائمكم وآثامكم التي أثقلت خطاكم ووقفت حاجزًا أمام مجرى أنفاسكم فتعفن الهواء داخل الرئات حتى صرتم تشعون الموت أينما ذهبتم.
من كل حدب وصوب يخرجون عليكم، تارة ترونهم وتارة لا، يوقعون بينكم الفساد والفتن فبدلا من أن تتوقفوا لتعملوا عقولكم وتفتحوا الباب لضمائركم، تتغذون على لحوم بعضكم، أيها الأموات الأحياء، دمتم لبعضكم عدوا، وداموا هم أسيادكم مادامت الظلمات غذائكم. هؤلاء من نحاربهم واستخدمناكم في محاربتهم ولم تخيبوا لنا ظنًا.
يزيد. .
أنت لم تعبأ يوما بعمق الجرح الذي تسببت فيه للآخرين، أعمتك أنانيتك ورغبتك الملحة في أن تكون متمردا حتى وإن كان على حساب من أحبوك بصدق، فخسرت من أحببت طوعًا وتحولت إلى نفسك غاضبًا لاعنا فصرتما أعداء، ينهش كل منكما في الآخر وبدأت تذوب من الداخل ولم تكتفِ بنفسك بل انتقلت عدواك إلى أيلا التي اخترتها منكسرة، وحيدة لاجئة إليك باقتدار، فصرت تتعامل معها كدُمية فانتكست شخصيتها أكثر لأنها

أصبحت مريضة بك وأنت مرض عضال، وأخذْت تغوص داخل أحشائها تخنق كل ما تطال من خلاياها، وبخخت سُمّك في عروقها وشرايينها فلم يعد لجسدها ملاذ يعينه على الشفاء ولم يبق من عقلها ذرة حكمة لتتركك وترحل فتنجو بما بقي لها من نفسها. فلم تبحث عن هواء نقي يبدل الغبار المسموم العالق بأنفاسها ولم تستطع أن تلعنك وتصب عليك جم غضبها واستياءها، بل استكانت واستسلمت لخدر الألم الذي تبعثه كلما لامستها وفي النهاية وقعت هي ضحية الملاعين فاستباحوا جسدها وسلبوها ما بقي لها من عقلها فتحولت إلى دمية تعقد فوق جسدها الصفقات القذرة وعندما استعادت بعضًا من رشدها وأدركت أين هي منك الآن لم تتحمل أن تستمر هكذا وأصدرت فرمانًا قاسيًا عليك، رحيمًا بها فتخلصت من نفسها المعذبة وحملتك ذنبا ستحيا به ما بقي لك من العمر وسيظل ملازمًا لك حتى لحظة الحساب.

حتى هالة لم تعد كما كانت، ستظل تتذكر مشاعرها تجاهك لكنها لن تسلم مصيرها إليك ولن تخطو إلى الوراء فتخاطر بحاضر صنعته ومستقبل تنتظر بشايره التي لن تظل بشاير في وجودك، هكذا تراك، حتى وإن لم تكن هذه هي الحقيقة ففي النهاية قد اختارت البعد لأنها لم تعد قادرة على تحمل المزيد من المجازفات معك.

ثم توجه في حركة مسرحية إلى صابر، قائلًا:

- صابر. . .

طالما نظرت إلى نفسك بشيء من الدونية وآمنت بعدم أحقيتك في أي خير، قد يكون السبب قرار أبويك بعدم صنع رابط عاطفي معك وإبعادك عن طريقهما، لأنهما أدركا أن الطريق الذي اختارا المضي فيه نهايته ستكون

حالكة السواد مهما طال الوقت. ربما لو وُضع شخصان غيرهما في نفس الظروف لبذلوا قصارى الجهد ليستمتعا بابنهما الوحيد ويتركا له ذكريات يتغذى عليها ويستقوي بها خلال رحلته في دنيا الابتلاء، وقد يكون هذا هو الطبع الذي ورثوك إياه، ألا تعبر عما تشعر، أن تكتم كل إحساس بداخلك حتى تفقد تدريجيا القدرة على التمييز بين الأحاسيس المختلفة فتختلط عليك المشاعر وتتشابك وتتعقد حتى تصل إلى الذروة فلا تشعر بشيء.

لقد ظلمت نفسك وتماديت في تعذيبها بسماحك للحنق والطاقات السلبية أن تستشري فيها، حتى صارت مدمرة لك ولمن حولك وأكبر دليل ما فعلته مع سلمى.

فنجاحك العملي وتميزك ووجودك ضمن قلة مختارة في مجال لا يضم الكثيرين من أهل بلدك لم يشعرك بأنك حققت شيئا أو تركت إرثا لمن يخلفك لأنك ببساطة لم تجد في الشعب كله من يستحق أن يخلفك لأنك دومًا اعتبرتهم ضعيفي العقول، ليّنين، يسعون خلف شهواتهم الجسدية وهم في النهاية لا شيء، لأن كل طعم بعد التعود عليه يفقد روعة وإثارة المذاق الأول، ربما لأنك لم تجد الحب من أقرب اثنين لك ووبذلك توَّلد لديك إحساسًا بأنك لا تستحقه، وأي شخص ستحبه يوما سيتركك خلفه ببرود ويمضي في طريق آخر. وعندما لاحت لك منار في الأفق، سلبت لبك وأثارت داخل أعماقك ذبذبات لم تجربها من قبل فأهدتك روعة المذاق الأول، ولكن سرعان ما اعترتك خيبة الأمل حينما ظهر يزيد لينافسك ، كما صور لك خيالك، على منار، فأصبح كل شيء يصدر منه يثير حنقك ويجعلك تصب لعناتك الصامتة عليهما لكنك أدركت الآن أنها لم تسمح لأحد غير طارق بالمرور من بوابات قلبها الصارمة والتي عينت عليها حراس عتاة يتخلصون

ممن يحاول الاقتراب في غمضة عين.
أما أنت يا منار،
فلقد استسلمت لقطيعة أختك غير المعلنة، صحيح أنكما لم تتفقا عليها ولكنكما فعلتما الأروع من ذلك، لقد نفذتماها بجدارة وكأن هناك عقد خفي مبرم بين نفسيكما. لا أعلم تحديدا لماذا وصل بكما الأمر لهذا الحد، ولماذا حاولت كل واحدة البحث عن ملاذ بعيدا عن أختها، رغم أنكما لم تسيئا يوما لبعضكما وليست هناك ضغائن مبيتة تصنع منكما عدوتين بتراكمها، لذلك أظن أنني توصلت للسبب الحقيقي. السر الذي اطّلعتما عليه صدفة وعشتما مع مرارته صباكما ورأيتما أن الحل الأمثل لتناسي الأمر هو البعد كليا عن العوامل التي تذكركما به وهو رؤيتكما لبعضكما لأن المكالمات المقتضبة التي تجري بينكما تمر ثقيلة مؤلمة وجعلتكما تستنجا أنه إذا كان سماع الصوت يحدث مثل هذا الأثر المقيت الذي يستمر أياما حتى يزول، فمابال اللقاء بفاعل.
سأعود للخلف قليلا وأعذريني على ذلك. .
لقد عدتما سويا من المدرسة باكرا لأنه كان -يوما كرنفاليا بمناسبة عيد الأم- وكانت والدتكما معكما بالمدرسة حيث كان من طقوس المدرسة دعوة الأمهات لمشاركة أبنائهم مثل هذا اليوم لتعزيز التواصل بينهم. في طريق العودة تركتكما والدتكما وذهبت لمحل البقالة الذي تمرون عليه يوميًا لتبتاع بعض الطلبات التي تعينها على عمل غداء سريع. وبمجرد ولوجكما من الباب سمعتما أصواتا غريبة خارجة من غرفة والديكما فاندفعتِ أنت بجرأة لتكتشفي سر هذا الصوت بينما وقفت أختك التي تكبّرك بأربعة أعوام مكانها، وكانت الصدمة شديدة جدا عليكما عندما وجدتما والدكما

في الفراش مع الخالة! التاع الأب من المشهد وأخذت خالتك تلملم ملابسها وارتدتها بسرعة هائلة وخرجت تجلس في الصالون في انتظار أمك وكأنها جاءت إليها في زيارة مفاجئة وأختك مكانها لم تتحرك وأنت أيضا تسمرت مكانك وأبيك يرتدي ملابسه في اضطراب ويحاول تحاشي النظر إليكما وذهب إلى الحمام ليغسل وجهه ويحسن من هندامه، فضربت والدتك جرس الباب، لأنها كانت قد أضاعت مفاتيحها وظلت تبحث عنها لمدة أسبوع كامل وقد عرفنا بعد ذلك من خالتك أنها من سرقتها، ولكنكما لم تتحركا فقامت خالتك وفتحت لها وبعد السلامات والقبلات والأحضان خرج والدك واحتضن أمك قائلا: -لقد أنتهت المهمة سريعا فقررت العودة بدلا من المبيت في السويس وعندما وصلت وجدت أختك عند الباب تنتظر من يفتح لها- فردت والدتك: -لله تدابيره الرائعة ليجتمع الجميع اليوم دون قصد للاحتفال بعيد الأم-.

يا له من إحساس مرير ومثير للاشمئزاز والرثاء.

وسرعان ما هبت رياح الخلاف بين والديكما وانتهى الأمر بالانفصال وسافر هو إلى الخارج ولم يعد إلى اليوم حتى بعد وفاتها.

نعم هي لم تعلم بخيانة زوجها وأختها لها وكان الطلاق بسبب خلافات افتعلها الأب ربما ليتخلص من وجوده بقربكم وبشعور المذنب الذي يراه في عيونكما.

لماذا ابتعدت أنت وأختك؟ ربما لأنكما تثيران لدى بعضكما الذكريات المريرة والسر الذي اضطررتم إلى العيش به مدى الحياة، أو ربما داخل عقلكما الباطن رأيتما كل منكما تخون الأخرى مع زوجها!!

لماذا قمنا بذلك؟ لماذا اخترناكم ولماذا اخترنا طارق ليكون هو المايسترو الحقيقي؟

لأنه كان يعلم بالفعل حقيقة كل شيء، ترك له أبيه مذكرة تحمل كل التفاصيل قبل وفاته، ذكر فيها أهل يزيد وأهل صابر. لم يجزع ولم يصبه التوتر بل وعد روح والده بإكمال المسيرة بعده ولكن بطريقته. وبدأ بالفعل، من خلال لوحاته، في إرسال الرسائل ومهاجمة هذة المنظمات محاولًا لفت أنظار العالم، نعم شعرت هذه المنظمات به لأن لديهم عملاء في كل مجال وفي كل مكان وبالتأكيد انتابها التوتر من أن تُفَتَّح عيون الشعوب الغافلة ولكن هيهات، الشعوب غير مثقفة، غير متذوقة لفن أو ناهمة فيه، تغُطّ في سبات، هم أقرب إلى الأموات منهم إلى الأحياء.

ولكننا كنا نراقبكم جميعا أولًا للحفاظ على سلامتكم، هذا ما وعدنا آباءكم به، ومن أجل جمع المعلومات الكافية إن اضطررنا إلى استخدامكم لتُكملوا المسيرة ولكن من خارج الصرح.

فكان ما كان. .

أما عن الأحلام، فنحن نصنعها، كان يرسلها إليكم طارق كما أردنا أن تُحاك فهو في النهاية فنان بخيال واسع وذكائه يصل إلى العبقرية، فقد استطاع تكوين صورة كافية عن كل منكم من خلال التقارير التي قدمناها إليه.

ستسألون كيف؟ الإجابة -بالعلم-.

هناك دراسة جد يدة مكنتنا من تخليق عملية التخاطر بين أفراد على بعد آلاف الأميال عن طريق إيصال عقل أحدهم بجهاز ال EEG فيتفاعل مع المخ ويبدأ بإرسال الرسائل إلى الشخص الآخر عن طريق ومضات، فيستجيب المستقبِل لتلك الرسائل غير المرئية. هذا ببساطة فالعملية أكثر تعقيدا

وهذا بالضبط ما كان يقوم به طارق معكم خلال نومكم.
لقد زرعنا كاميرات مراقبة في كل مكان يخطر ولا يخطر لكم على بال، وزرعنا في غرف نومكم أجهزة الاستقبال الذي تمت برمجتها بشكل دقيق للغاية مفصل خصيصًا ليناسب كل منكم حتى يتم استقبال الحلم في الوقت المُراد وبالصورة التي تحقق الهدف. هذا ليس خيالًا علميًا، هذا تطور علمي حقيقي.
لذلك إيمان منار بأن لهذه الأحلام مغزى أكبر من كونها مجرد أحاديث نفس صحيح، فكلها كانت عبارة عن إشارات تتوجهون بها إلى الطريق الذي نريده لكم.
ولكن، ما الضرورة من موت طارق؟
من أجل حمايتكم وحمايته. ولم يكن هناك بديل آخر فاضطررنا إلى إقحامك في هذا الأمر رغم اعتراض طارق الشديد. وفاة طارق تركت في نفوسهم شعورًا بالاطمئنان ورسالة بأن مصدر القلق واحتمالية استفاقة الجماهير التي كانت بالنسبة لهم خمسة بالمئة صارت واحد بالمئة. هذا سهل علينا الأمر كثيرا، ولكن سعيهم خلف أيلا من أجل استغلالها في أعمالهم واستخدامها بوابة للوصول إلى يزيد صعّب علينا الأمر بعض الشيء، مما اضطرنا إلى المخاطرة بأحد رجالنا فأرسلنا إليها -المنقذ- الذي أرسل إلى يزيد الخطاب.
أعلم أن الأمور معقدة ولكن تم اختياركم وقمتم بالمهمة بصورة أفضل من توقعاتنا خصوصًا بعد انضمام عليّ إليكم، لذلك استحققتم بعض التفسير.
وصاح صابر حانقًا:
- ومن أعطى لكم الحق بسلب إرادتنا هكذا وزجنا في هذا الأمر!!

- لا تكذب على نفسك، نحن لم نسلبكم شيئًا، كل ما فعلناه أننا وضعنا في طريقكم أسئلة وأرسلنا إليكم الإشارات وأنتم من قرر خوض تلك التجربة بمحض إرادتكم. كانت لديكم الفرصة لتتجاهلوا الأمر ولكن فضولكم وعقولكم أوعزوا لكم بتنفيذ بالأمر لتعلموا ماذا يحدث، نحن لم نبعث إليكم بمن يهددكم، عقولكم سُلِطَت عليكم وكل واحد منكم حياته كانت تدفعه ليبحث عن شيء جديد ليتخلص من الأحمال التي يسير بها على عاتقه سواء كانت ذنب، وحدة أو فقد.

أتعلمون ماذا أدى بالعالم إلى هذا الدمار؟

الجانب الأسود من النفس البشرية.

شيطان الإنس الكامن داخل الأطماع والمادية هو من يجعلنا نهلك بعضنا وهو من سيودي بنا إلى الهاوية.

كتيرا ما أتخيل نهاية الكون، الأزمان تتداخل فلا يعود هناك مبرر لوجود -الزمن- فتدخل المساحات في بعضها البعض وينفجر كل شيء.

الأبعاد الزمنية، تبدو لي مثل فقاعتين والفارق الزمني بينهما هو سُمْك ذلك الهواء الفاصل بين حدودهما. تُرى ماذا يحدث إن تلاصقت الحدود ولم يعد هناك ذلك الفارق؟ أسيتمكن قاطني كل فقاعة من رؤية ومحادثة قاطني الفقاعة الأخرى؟ أم سُيحال البُعدان بُعدًا واحدًا وتختفي الحدود والفوارق الزمنية؟ وإن حدث ذلك هل يمكن أن تستمر الحياة على ما هي عليه؟ هل ستذوب؟ أم ستنتهي بانفجار مدوٍ؟

لست أدري ولكني أعلم أنهم يتعاملون مع ممن هم في البعد الآخر ولكن بحدود تحكمها المصالح المشتركة وعمق العلاقات، إنهم يتبعون ناموسًا خاصًا بهم لا يخترقون قواعده تحت أي ظرف، يتبعون سيدهم الغامض،

ورغم سريته وخصوصيته إلا أنهم يقودون العالم تبعا له دون أن يدري العموم من بني آدم حقيقة ما يحدث حولهم.

إنها المؤامرة الكبرى على البشرية

إنه التحدي الأعظم القديم، إنه رهان الإغواء، والعقد المبرم بين المؤامرة ومافيا العلم.

إنه ناموس الفوضى، والتلاعب بالخيوط اللا مرئية.

إنه التلاعب بالعقول المنومة والنفوس المهترئة والقلوب المنهكة والأرواح الذابلة.

إنها الفوضى المنظمة وفيروس التيه والضبابية.

ولكننا قررنا أن نكون من يتخذ الخطوة تجاه النور مهما كانت الطريق مُضرجة بدماء السابقين ومهما كانت الرؤية ضبابية والأشواك غزيرة، قررنا أن نتحمل وابل السُباب وأحيانًا الرصاص والأمراض المزمنة، قررنا أن نخترق الحواجز ولن نهتم بالخسائر مادمنا سنحتفظ بأرواحنا حرة وعقولنا عاملة, المهمة لم تنته بعد، هناك آخرون سيكملون الطريق بصور أخرى ومن مواقع جديدة, إنها حرب أزلية بين بني البشر، هي عملية التنقيح الشرسة التي ستستمر إلى الفناء، حينها سنكون قد بلغنا الذروة في كل شيء وسيزداد الالتباس والجنون، وسنستمر حتى تتشابك النقاط ويذوب الزمن وينتهى كل شيء، حينها سنكون أنفسا حرة، بلا أجساد بلا مادة، بلا كوابيس,

****

تمت

تواصل معنا :

01011464037

E-mail -:Sonon. Pub@Gmail .com

جميع حقوق النشر محفوظه لدار سنون للنشر و التوزيع
إن أي تصوير أو اعادة طباعه أو نشر بشكل ورقي أو الكتروني
أو ترجمته أو تسجيله صوتيا بدون إذن كتابي مسبق من الدار
يعرض صاحبه للمسائله القانونيه